آلِيّات الْوِحْدة المَوْضوعيّة لِلسّورةِ القُرآنيّة
عِند الطّيبِي في" فُتُوحِ الْغَيْب"
دِراسةٌ نَظريّةٌ تَطْبِيقِيّةٌ

إعداد الأستاذ الدكتور

أحمد حسين مهدي الأكرت

أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم المساعد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين

بالقاهرة - جامعة الأزهر

"آليات الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية عند الطيبي في: فتوح الغيب: دراسة نظرية تطبيقية"

أحمد حسين مهدي الأكرت.
قسم أصول الدين كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة جامعة الأزهر، القاهرة، مصر.
البريد الالكتروني: alakrat321@gmail.comahmad

الملخص:

تدور هذه الدراسة حول ما ذكره الإمام الطيبي في حاشيته المسماة: فتوح الغيب من معرفة العوامل المساعدة على تحديد الموضوع الرئيس الذي تدور حوله السورة القرآنية الكريمة وترمي إلى استنباطه، وأنها مهما تعددت قضاياها وتباينت موضوعاتها فهي كلام واحد يتعلق آخره فيها بأوله، وأوله بآخره. فهي تهدف إلى إبراز وجوه الإعجاز القرآني، والوقوف على الفكر المقاصدي للقرآن الكريم، واستخراج هداياته ومعرفة لطائفه وأسراره؛ إذ هو خير معين على تدبر آيات القرآن الكريم، من خلال التحليل لمحتويات النص والكشف عن العلاقات والروابط؛ حتى تظل العقول دائما متطلعة إلى القرآن، ناظرة فيه، وهذا من شأنه أن يقيم في نفوس المسلمين حياة متجددة. وأن المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الوصفيّ التطبيقيّ الذي يجمع بين التأصيل والتطبيق؛ للبحث عن مظاهر التلاؤم والائتلاف بين موضوعات السورة القرآنية. وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، منها: أن الإمام الطيبي قد جمع في حاشيته: فتوح الغيب نوعين من التفسير، أحدهما متبعًا فيه الإمام الزمخشري الذي تدور الحاشية في فلكه، وحول حل ألفاظ كتابه، والثاني طَرْق باب جديد يكون من السابقين إلى توضيح معالمه بصورة تطبيقية وهو بيان التفسير الموضوعي، عدم اقتصار

وجوه إعجاز القرآن الكريم على وجه واحد والاعتراض على ما سواه فضلا عن رفضه، فوجوه إعجاز القرآن الكريم متعددة ومتنوعة، أنّ الجانب التطبيقي خير معين على الاستفادة من الأمور النظرية.وتوصي الدراسة بجملة من التوصيات أهمها: إبراز وجوه الإعجاز القرآني، والتعويل على الجانب التطبيقي في ذلك ومعرفة كيف بدئت السورة؟ وكيف ختمت؟ وكيف تلاقت أركانها وتعانقت؟.

الكلمات الافتتاحية: الوحدة الموضوعية، السورة القرآنية، الإمام الطيبي، النماذج التطبيقية.

The Mechanisms of the Thematic Unity of Quranic Surah, According to At-Taibiey in Futuh Al-Ghaib: An Applied Theoretical Study

Ahmed Hussein Mahdi Al-Akart

Department of Fundamentals of Religion, College of Islamic and Arabic Studies for Boys, Al-Azhar University, Cairo, Egypt.

Email: ahmadalakrat321@gmail.com

Abstract:

This study revolves around what Imam Taibiey mentioned in his footnote: Futuh Al-Ghaib regarding the determination of the aspects that identify and deduce the main theme of a certain Surah in the Holy Quran. It aims to highlight the aspects of the Quranic inimitability and extract its guidance, knowledge, and secrets. The Holy Quran can be fully understood by analyzing its texts and its cohesive and coherence ties. Applying this method, the minds will always look forward to the Quran. This would establish a renewed life in the hearts of Muslims. The approach followed in this research is the descriptive and applied approach which gathers between authentication and application. The study reaches a set of results as it revealed that Imam Taibiey has collected in his footnote Futuh Al-Ghaib two types of interpretation, in one of them he follows Imam Zamakhshari, and deals with his book and what he wrote about the Quran. The other is a new interpretation of the Holy Quran according to its topics, not limiting the miracles of the Holy Quran to one side but rather emphasizing the multiple and various

aspects of its miracles, and accepting this variation rather than rejecting them. Practical application is the best aid for benefitting from theoretical aspects.

The study recommends highlighting the aspects of the Quranic miraculous nature, relying on the applied method, and knowing how the Sura begins, how it is sealed, how its pillars meet and intervene.

Keywords: Thematic Unity, Quranic Sura, Imam Taibiey, Applied Models.

مقدمة

الحمد لله على جميل نعمائه، وبديع آلائه، وعظيم آياته، أنزل القرآن الكريم ساطعًا تبيانه، قاطعًا برهانه، معجزًا سوره وآياته، والصلاة والسلام على خير أنبيائه، وإمام أصفيائه، وعلى آله وأصحابه، وبعد.

فالقرآن الكريم منهج حياة؛ إذ به نجاح المسلم وفلاحه، وقيام دينه ودنياه، وسعادته في أولاه وأخراه، بتثبيت العقيدة وسائر الأركان في قلبه، وتزكية نفسه بأخلاق القرآن، وإعداده فردًا صالحًا في أمته، كما أنه معجزة متجددة العطاء قائمة بحجة الله – تعالى– البالغة في كل زمان، تتجدد كلما جدّ في حياة الناس جديد، وأنّ كل ذلك واقع في السورة القرآنية التي وقع بها التحدي، ففيها من فصاحة الألفاظ، وبديع النظم، وانسجام الكلمات، وثراء المعاني، مع ترابط أجزائها، فمطلعها كاشف عن مقصدها ومقطعها ملخص لأهدافها، وموضوعاتها متلاصقة كتلاصق أعضاء الإنسان تراها مترامية الأطراف إلا بها من الترابط ما يفوق الوصف، مما جعل العلماء على اختلاف مدارسهم، وتنوع علومهم، يحاولون جاهدين الوقوف على معاني القرآن الكريم، واستخراج دُرره، وكشف كنوزه، وإدراك مقاصده وأهدافه، لعلمهم ويقينهم أن القرآن الكريم منطوٍ على وجوه من الإعجاز كثيرة، ولا سيما في السورة الواحدة، ومن هؤلاء العلماء الإمام شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ) في حاشيته على تفسير الكشاف للإمام الزمخشري، والمسماة: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، ولذلك اخترت هذا الموضوع ليكون محل بحثي، وجعلته بعنوان: " **آليات الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية عند الطيبي في فتوح الغيب: دراسة نظرية تطبيقية**".

ففيه إبراز لوجوه إعجاز القرآن الكريم، وترابط موضوعات سوره وآياته، وتلاحم عناصر مقاصده وأهدافه من خلال الجانب التطبيقي المستفاد من الأمور

النظرية، كما فيه إبراز عناية واهتمام علماء الإسلام بهذا الجانب، فالموضوع حيويّ ومتجدد يدل على أهميته الكبرى ومنزلته العظمى، فثمرته نافعة، وفائدته سامية.

خطة البحث: ينقسم هذا البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، وستة مباحث، وخاتمة، وفهارس فنية.

المقدمة: فيها الثناء على الله تعالى، والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ثم الحديث عن أهمية الموضوع، والباعث على الكتابة فيه، وخطة البحث، وصعوبات البحث، وتساؤلات البحث، والدراسات السابقة لهذا البحث، ومنهجي في البحث، وأهداف البحث.

التمهيد: وفيه أمران: **الأول:** بيان مفردات العنوان، **والثاني:** الإمام الطيبي وفتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب.

المبحث الأول: الوحدة الموضوعية والنظم القرآني.

المبحث الثاني: الوحدة الموضوعية ومقاصد السورة القرآنية.

المبحث الثالث: الوحدة الموضوعية والمطالع والمقاطع (الفواتح والخواتم).

المبحث الرابع: الوحدة الموضوعية والقصة القرآنية.

المبحث الخامس: الوحدة الموضوعية ودفع موهم التعارض والاختلاف.

المبحث السادس: الوحدة الموضوعية وتقرير أمهات مسائل الأصول والفروع (العقيدة والشريعة والأخلاق).

خاتمة.

الفهارس الفنية.

صعوبات البحث:

من أكثر الصعوبات التي واجهتني أثناء كتابة هذا البحث هو الوقوف على تلك الآليات التي تكون نبراسًا في استخراج الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، والتحليل لمحتويات النّص القرآني والكشف عن العلاقات والروابط في أسلوب القرآن، وكيفية التناسق الكامل بين موضوعات السورة المختلفة ومقاصدها المتعددة وأغراضها المتباينة.

أسئلة البحث:

تكمن تساؤلات هذا البحث في تساؤل رئيس يتفرع منه عدة تساؤلات، **أما التساؤل الرئيس فهو:**

ما مظاهر التآلف بين موضوعات السورة القرآنية وفقًا لمقتضيات المعاني التي تتضمنها، والمقاصد التي تتطلبها، وكيفية الكشف عن آليات الارتباط بين أجزاء النظم في السورة القرآنية؟

وأما ما يتفرع منه:

١- ما العلاقة بين النظم القرآني والوحدة الموضوعية، لماذا كان النظم القرآني من أهم أوجه إعجاز القرآن الكريم؟

٢- ما العلاقة بين فواتح السور وخواتمها وبين الوحدة الموضوعية؟

٣- لماذا يعتبر مقاصد السورة القرآنية عنصرًا أساسًا في الوحدة الموضوعية؟

٤- كيفية الاستفادة من الوحدة الموضوعية في دفع موهم التعارض والاختلاف؟

٥- ما المعاني القرآنية التي أبانت عنها السور القرآنية، ومدى الإفصاح عما اشتملت عليه من أمهات مسائل العقيدة والشريعة والأخلاق؟

الدراسات السابقة:

من خلال البحث والتنقيب في المصادر والمراجع الخاصة بالدراسات القرآنية، اتضح وجود الكثير من الكتب التي تناولت الحديث عن الوحدة

الموضوعية في القرآن الكريم إلا أن هذه الدراسات لم تقف على الوسائل التي بها يتم الوقوف على اتحاد الموضوعات في السورة القرآنية بتلك الطريقة التي اتبعها الإمام الطيبي والتي هي تطبيق لوجوه إعجاز القرآن الكريم المتعددة، زِدْ على ذلك أن هذه الدراسات حديثة ومعاصرة[١] الأمر الذي يتطلب البحث عن استخراج البذور الأولى وكيف أنها نبتت عن المفسرين القدامى، ومن هذه الدراسات:

١- الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم للدكتور/ محمد محمود حجازي.

٢- نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم للشيخ/ محمد الغزالي.

٣- الوحدة البنائية للقرآن المجيد للدكتور/ طه جابر العلواني.

٤- المعنى القرآني، معالم الطريق إلى فقهه في سياق السورة رؤية منهجية ومقاربة تأويلية، للأستاذ الدكتور/ محمود توفيق سعد.

كما لم أرَ في الدراسات التي تناولت الإمام الطيبي وحاشيته: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب[٢] من تعرضت لهذا الأمر من قريب أو بعيد على

---

(١) فقد قال الشيخ محمد الغزالي: (هذه دراسة جديدة للقرآن الكريم،... قد أرتاد طريقًا لم أُسبق إليه أفتتح به بابًا من أبواب الخير.). نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، صـــ٥.

(٢) ومن هذه الدراسات:

١- قضايا علوم القرآن عند الإمام الطيبي في حاشيته: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب على الكشاف للزمخشري دراسة استقرائية تحليلية، رسالة ماجستير للباحث / عمر محمد أبو شعيشع أحمد، نوقشت بقسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين والدعوة بطنطا عام ١٤٣٨هـ = ٢٠١٦م.

٢- مسائل علم البيان في حاشية الطيبي على الكشاف، والمسماة بـــ: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، رسالة ماجستير للباحث/ أحمد محمود الجندي حسن، نوقشت بقسم البلاغة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة.

٣- مسائل علم المعاني في كتاب فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب المعروف بحاشية الطيبي على الكشاف، رسالة ماجستير للباحث/ محمد بن راشد حمد الصبحي.

الرغم من أهميته وكثرته، مما دعى الحاجة إليه ماسة، والتعويل عليه ضرورة ملحة.

منهجي في هذا البحث:

أما المنهج الذي سرت عليه، فهو المنهج الوصفي التطبيقي الذي يجمع بين التأصيل والتطبيق عن طريق البحث عن الوسائل التي تتصل بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية وبيان تراكيبها المحكمة ومعانيها الجليلة من خلال ما تناوله الإمام الطيبي في حاشيته المسماة: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب.

ولذا فإن طبيعة الكتابة في هذا البحث اقتضت تناوله من جانبين مترتب كلٌّ منهما على الآخر ومرتبط به:

الجانب النظري: ويتم فيه الإفصاح عن تلك الآلية التي كانت سبيلًا لاستخراج الوحدة في السورة، وجمع المادة العلمية الخاصة بها وتأصيلها، والإبانة عناصر هذه الوحدة الموضوعية وعلاقتها بالتفسير، وكيف أنّها أحد أهم وجوه إعجاز القرآن الكريم.

الجانب التطبيقي: ويتم فيه تطبيق المادة العلمية على النموذج المقصود دراسته، من خلال ما ذكره الإمام الطيبي في حاشيته، والوقوف على مكانته العلميّة، ومنهجيته التي سلكها في بيان مظاهر التلاؤم والائتلاف بين موضوعات السورة القرآنية، واستخراج أغراضها ومقاصدها والمعاني التي وردت للإبانة عنها، وكيف أن القرآن الكريم مترابط البناء محكم التراكيب لا تفاوت في أسلوبه، ولا تناقض بين موضوعاته.

وبذلك تتميز هذه الدراسة عن غيرها من الدراسات في أنها تتناول الموضوع نظريًا وذكْر الآليات التي هي بمثابة وجوه إعجازٍ للقرآن الكريم، ثم

تقوم بذكْر نماذج تطبيقية بناء على ما تم تسجيله من معلومات نظرية، في إطار أصول البحث العلمي.

أهداف البحث:

إنّ الثمرة التي ينبغي تجنيها، والفائدة التي يتطلب الحصول عليها في هذه الدراسة أمور أهمها:

١- أن السورة القرآنية التي وقع التحدي بها، قد حوت من التناسق الكامل والتآلف التام بين آياتها بل بين كلماتها وجملها ما أعجز الفصحاء وأفحم البلغاء؛ لما فيها من حُسن الألفاظ والمعاني، وتلاحم موضوعاتها، فالسورة الكريمة قد سارت في سياقها وفقًا لخط مرسوم، رسمه مربّي النفوس ومزكيها، ومنوّر العقول وهاديها، ومرشد الأرواح وحاديها.

٢- أنّ أبرز شيء في القرآن هو ما يظهر في فصاحته وبلاغته وبيانه، وذلك حتى تظل العقول دائمًا متطلعة إليه، ناظرة فيه، آخذة منه؛ لما فيه من القصد في اللفظ، والوفاء بحق المعنى، وإقناع العقل وإمتاع العاطفة، فهذا إعجاز من إعجاز القرآن.

٣- أنّ هذه الدراسة من شأنها أن تزيد ارتباط المسلم بالقرآن الكريم، لما في ذلك من التأمل فيه، وفهم له، وإحساس صادق بما تحمل آياته وكلماته من معاني الحق والخير، وخطاب العامة والخاصّة، ومن أسرار قدرة الله – تعالى– وحكمته وعلمه.

٤- أنّ هذه الدراسة تعتبر مثالًا حيًّا لتوفر إعجاز القرآن الكريم، ويظهر ذلك في نظمها المحكم من لفظٍ معجز ومعنى متناسق وأسلوب متماسك وموضوعات مترابطة.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد.

تمهيـــــد

ويشتمل على أمرين:

الأول: بيان مفردات العنوان.

الثاني: الإمام الطيبي وحاشيته المسماة بـــ: " فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب".

الأمر الأول: بيان مفردات العنوان:

آليات جمع آليّة، وتدور معناها حول الأدوات والوسائل والطرق؛ إذ هي نسبة إلى الآلة، و(الآلَةُ: أَدَاةُ الحَرْبِ من السِّلاَحِ وغَيْرِها، وسائرُ الأَدَوَاتِ: آلَةٌ، ...وسُمِّيَتْ أَلَّةً لدِقَّتِها...والآلَةُ: شَدِيْدَة من شَدَائِدِ الدّهْرِ، والحَالَةُ، والطَّرِيْقَةُ، وأَدَاةُ الصّانِعِ التي يَؤُوْلُ إليها ويسوسها)[1].

والوحدة مأخوذ من وحد كـــ: وعد، وتدور معناها حول الانفراد والتميز وعدم الانقسام.

قال الفيومي: (وحد يحد حدة من باب وعد: انفرد بنفسه،...وكل شيء على حدة أي متميز عن غيره)[2]، أي: أنّ الوحدة تعني الشيء الذي اتحدت معالمه واكتملت مبانيه مما أمكنه أن يقوم بنفسه؛ إذ لا جُزْء له، ولا نظير له، فهو مخالف لغيره ومتميز عنه.

وقد زادها إيضاحًا الكفوي حيث قال: (والوحدة: كون الشيء بحيث لا ينقسم،... وتطلق ويراد بها عدم التجزئة والانقسام؛ ويكثر إطلاق الواحد بهذا المعنى، وقد تطلق بإزاء التعدد والكثرة، ويكثر إطلاق الأحد والفرد بهذا المعنى)[3].

---

(١) المحيط في اللغة للصاحب بن عباد ٢/ ٤٦٧، وينظر: تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري ٣١٥/١٥، لسان العرب لابن منظور ٣٩/١١.

(٢) المصباح المنير٦٥٠/٢، مادة (و ح د)، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، صـــ ٦٦٦.

(٣) الكليات لأبي البقاء الكفوي، صـــ ٩٣١.

والموضوعيّة: مأخوذ من الفعل وضع، تقول: وضع الشيء يضع موضعًا وموضوعا، وقد جاءت النسبة إليه على صورة المصدر الصناعي " موضوعيّة"، وتدور هذه المادة حول الإسراع في السير، والإلقاء من اليد، والثبات في المكان والإنزال فيه(١).

والمراد بها (القضية التي تعددت أساليبها وأماكنها في القرآن الكريم، ولها جهة واحدة تجمعها، عن طريق المعنى الواحد، أو الغاية الواحدة، ...فالتفسير الموضوعي، هو: علم يبحث في قضايا القرآن الكريم، المتحدة معنًى أو غاية، عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها، على هيئة مخصوصة، بشروط مخصوصة؛ لبيان معناها، واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع)(٢).

والسورة مأخوذة من سَوَرَ، وتدور حول العلو والارتفاع والإحاطة، فـ(السورة قطعة من القرآن الكريم لها أول وآخر، وهي في اللغة مأخوذة من سَوْرة الأسد وسورة الشباب بمعنى القوة في كلّ، ولا شكّ أنها قوية في ذاتها وأقوى من الآية، أو هي مأخوذة من السور بمعنى الجماعة؛ لأنها تجمع بين آيات متعددة ومعانٍ كثيرة، أو هي مأخوذة من السور المحيط بالأبنية؛ لأنها تحيط بآياتها ومعانيها، هذا إذا كانت بلا همزة فإن كانت مهموزة فهي من السؤر لما بقي من الشراب، ولا شك أنها بقيّة من القرآن، أو هي بمعنى الرفعة والمنزلة العالية، ولا شكّ أنها رفيعة القدر كبيرة المقام...)(٣).

القرآنية مأخوذ من الفعل قرأ، والذي تدور مادته حول الجمع والضم والتتابع(٤)؛ حيث إن القرآن جمعت حروفه فصارت كلمات، وجُمعت كلماته

---

(١) مختار الصحاح، صـــ ٣٤١، المعجم الوسيط، ١٠٣٩/٢، معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار٢٤٥٨/٣، الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، صـــ٣٣.

(٢) المدخل إلى التفسير الموضوعي، صـــ ٢٠.

(٣) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، صـــ ٤٠، ٤١، وينظر: تاج العروس للزبيدي ١٠٣/١٢، الكليات للكفوي، صـــ ٤٩٤.

(٤) مختار الصحاح، صـــ ٢٤٩، تاج العروس ٣٦٣/١، المعجم الوسيط ٧٢٢/٢ مادة (قرأ).

فصارت آيات، وجُمعت آياته فصارت سور، وجُمعت سوره فصارت قرآناً، كما أنه إما بمعنى اسم الفاعل أي: الجامع للعلوم، وإما بمعنى اسم المفعول أي المقروء المجموع فيه جميع العلوم والشرائع.

والقرآن، هو: هو كلام الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم المعجز بلفظه، المتعبد بتلاوته المنقول بالتواتر، المكتوب في المصاحف، من أول سورة «الفاتحة» إلى آخر سورة «الناس».(١)

وبعد ذكر مفردات الموضوع يمكننا أن نحدد المراد منه، فنقول- وبالله التوفيق- هي: الوسائل والسُبل التي يتم من خلالها معرفة اتحاد موضوع السورة القرآنية مع تحديد أهدافها ومقاصدها، وأنها مهما تعددت قضاياها وتباينت موضوعاتها فهي كلام واحد، ولها هدف واحد وطابع خاص يتعلق آخره فيها بأوله، وأوله بآخره.

ففيه الوقوف على معرفة العوامل المساعدة على تحديد الموضوع الرئيس الذي تدور حوله السورة القرآنية الكريمة وترمي إلى استنباطه.

الأمر الثاني: الإمام الطيبي وحاشيته المسماة بـــ: " فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب":

هو: شرف الدين أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي التبريزي(٢)، الإمام الهمام، العلامة في المنقول والمعقول والعربية والمعاني

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم، د/ محمد أبو شهبة صـــ ٢١، وينظر: البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي ٣٥٦/١، مناهل العرفان للزرقاني ١٥/١.

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر ١٨٥/٢، الأعلام للزركلي ٢٥٦/٢، وقد قيل بأن اسمه الحسن، ينظر: طبقات المفسرين للداوودي ١٤٦/١، طبقات المفسرين للأدنه وي ٢٧٧/١.

والبيان، حافظ مفسر، (كان آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنن، مقبلًا على نشر العلم متواضعًا حسن المعتقد، شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة مظهرًا فضائحهم، شديد الحب لله ورسوله، كثير الحياء، ملازمًا لأشغال الطلبة في العلوم الإسلاميّة بغير طمع، بل يخدمهم ويعينهم، ويعير الكتب النفيسة لأهل بلده وغيرهم؛ من يعرف ومن لا يعرف، محبّا لمن عرف منه تعظيم الشريعة، وكان ذا ثروة من الإرث والتّجارة، فلم يزل ينفقه في وجوه الخيرات حتى صار في آخر عمره فقيرا، وضعف بصره في آخر عمره)[١].

وكان ذا مكانة علمية عالية ومنزلة رفيعة بين أقرانه من العلماء، فهو بحق موسوعة علمية ومكتبة شاملة؛ إذ إن ثقافته لم تكن مقصورة على علم محدد ولا محصورة في فن معين، وهذه المكانة التي نالها الطيبي إنما نتاج فكر، وحصاد قراءة على أيد علماء أجلاء، ومشايخ عظماء فضلاء، ونشر دؤوب لعلم نافع على طلاب نبلاء، فالعلم إنما هو تلقٍ وإلقاء، استقبال وتمحيص وتفحيص وإرسال، ولذلك كان الطيبي كثيراً ما يذكر حق مشايخه بالدعاء لهم، فقد قال: (واجز عنا أئمة الإسلام، وأعلام الطريقة خيراً، سيّما من علّمنا وأدبنا، ونصحنا فيك، وهدانا إليك)[٢].

ومن مؤلفاته العلمية:

١- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، وهو حاشية على تفسير الكشاف للزمخشري.

٢- الكاشف عن حقائق السنن: وهو كتاب في الحديث، شرح فيه الطيبي "مشكاة المصابيح " للخطيب التبريزي.

---

(١) طبقات المفسرين للداوودي ١/١٤٦، نقلا عن الدرر الكامنة ٢/١٨٥.

(٢) فتوح الغيب ١٦/ ٦٦٤.

٣- التبيان في البيان: وهو كتاب في علوم البلاغة الثلاثة: المعاني والبيان والبديع، وغيرها من آثاره وتراثه الذي أثرى به المكتبة الإسلامية.

وبعد حياة حافلة بالبذل والعطاء، مليئة بالكفاح والإنفاق، محفوفة بالزهد والورع، انتقل الطيبي إلى رحمة الله – تعالى – في يوم الثلاثاء ثالث عشر من شعبان سنة (٧٤٣هـ = ١٣٤٢م).

منهج الطيبي في حاشيته: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب:

ويقتصر الحديث في منهج الإمام الطيبي في كتابه: فتوح الغيب على بيان الوحدة الموضوعية والوسائل التي استعان بها في الوقوف عليها واستخراج أسرارها، ولعلّ من أهمها:

١- أن فتوح الغيب يعتبر من مدرسة التفسير بالمأثور التي تقدّم النقل على العقل مع تحري الصحة في المنقول، والاهتمام بالمعقول – أيضا – فيُعنى بالتفسير وغيره من علوم القرآن الكريم، فهو كثيراً ما يحاول تفسير القرآن بالقرآن أو بأحاديث صحيحة، أو بما أوثر عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين، فهو دائم التأمل والتدبر في القرآن الكريم والوقوف على أسراره بما يستخرجه من آياته وسوره، ومعرفة ترابط آياته وتلاحم أجزائه، وتلاصق موضوعاته.

٢- الوقوف على مقاصد القرآن الكريم وهداياته؛ لما في ذلك من المساعدة على التدبر واستجلاء دقائق المعاني وفوائدها، الأمر الذي يحقق أن لكل سورة وحدة بيانية؛ إذ فيها من التناسب والتآخي والترابط بين أجزائها ما يبعث على التأمل.

٣- العناية بالمسائل البلاغية من المعاني والبيان والبديع، وتحليل تلك المسائل تحليلًا دقيقًا بطريقة تطبيقية، وتذوقه للأساليب البيانية الرفيعة فيها، وتحسسه لمواطن الجمال فيها، وحديثه عن الوحدة الموضوعية في النص.

٤- الإكثار من الحديث عن النظم وأثره في توجيه المعنى وتحديده، وتحكيم مقتضى الحال والبلاغة كذلك في فهم المعنى، فقد كان معنيًّا بإبراز النظم القرآني، والإبانة عن بعض أسراره، وتجلية المعنى بما يتفق والنظم أو السياق، أو مقتضى الحال، وقد أشار إلى ذلك حيث قال: (... وعثرتُ بعد طول المباحثات على أنّ معرفة إبراز النظم هي أعظم المطالب، وأسنى المقاصد والمآرب، فإنها مِسْبار البلاغة، ومعيار البراعة؛ إذ بها تُنتقد الأقاويل، ويُرجّح تأويل على تأويل، ثم إن تر خللا فانسبه إلى الونى والقصور، وإن تعثر على ما تَقرّ به العين فأحله إلى فيضان النور من جناب سيد المرسلين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين صلى الله عليه وسلم؛ فإني رأيتُ – والله الواهب- فيما يرى النائم في أثناء الشروع أو قُبيله أنه صلى الله عليه وسلم ناولني قدحًا من اللبن وأشار إليّ، فأصبتُ منه، ثم ناولته صلوات الله عليه وسلامه فأصاب منه...)[١].

وبالجملة فإن ما اتسم به الإمام الطيبي من العمق، وسعة الأفق، وسلامة الذوق، وما كان في شخصيته من حيويّة ونشاط، ومن سلامة في الفكر، ومن حُسن تأمل وتدبر في كتاب الله – تعالى- أمكنه الوقوف على آليات الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، من حيث: معرفة المقصود الأعظم للسورة، وتحديد مطلعها ومقطعها، واستبصار موضوعاتها لدفع ما يوهم ظاهره التعارض، ومدى معالجة قضاياها بما تستشهد من أطراف في القصص القرآني؛ لدفع توهم تكرار القصة القرآنية، والوقوف على مقاصد القرآن الكريم؛ لتقرير أمهات مسائل الأصول في العقيدة والشريعة والأخلاق.

(١) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ٦١٢/١.

المبحث الأول

الوحدة الموضوعية والنظم القرآني

يعتبر النظم بمثابة الشريان الذي يربط بين عناصر الجسم المختلفة وتنتقل من خلاله معاني السورة الكريمة ومقصودها، ويكشف الفروق المعنوية الدقيقة بين خصوصيات التراكيب، وارتباط هذه الخصوصيات بالسياق والغرض العام، ففيه التناسق الكامل، والتآلف التام بين العبارة القرآنية والمعنى الذي يراد بيانه وتوضيحه، ووضعها في قالب محكم دقيق، مما جعله أبرز وجوه الإعجاز القرآني.

فما النظم؟ وما وجه ارتباطه بالوحدة الموضوعية؟ وكيف استفاد منه الإمام الطيبي في تحقيق وشائج الارتباط بين موضوعات السورة القرآنية ومقاصدها والحصول على أهدافها وأغراضها؟

النظم في اللغة هو: التأليف، وضم شيء إلى شيء آخر، وكل شيء قرنته بآخر فقد نظمته، والانتظام: الاتساق(١).

فمادة الكلمة تدل على الضم والتأليف، والجمع والاتساق لما في جمله من التجانس والتقارب، وفي معانيه من التزاوج، بحيث تحقق الصورة كاملة بين اللفظ ومعناه.

واصطلاحًا: حُسن ترتيب الكلمات في الجملة، بحيث تكون كلّ كلمة في الجملة في محلّها المناسب لها، وهو يقوم على معاني النحو والبلاغة(٢).

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ٤٩٦/٣٣، مختار الصحاح للرازي ٣١٣/١، مقاييس اللغة لابن فارس ٤٤٣/٥، مادة " نظم".

(٢) دلائل الإعجاز في علم المعاني صـــ ٣٩١، وينظر: الرسالة الشافية صـــ١٤١ ضمن رسائل الإعجاز، وينظر: التعريفات للجرجاني صـــ ٢٤٢، تاج العروس ٤٩٩/٣٣.

فبين المعنى اللغوي والاصطلاحي تلاحم يدل على تلائم الأجزاء، وأنّ في النظم ارتباط بعض العناصر ببعض كترابط كل عضو من أعضاء الجسد بالآخر، بحيث لا يمكنك وضع عضو مكان آخر، ولا أن تبدله بغيره، ولعل هذا جعل النظم أحد وجوه إعجاز القرآن بل يعتبر جوهر الإعجاز ولبّه؛ لأنه يتنظم القرآن الكريم كله، ويتخلل كل سورة من سوره، وذاك ما أشار إليه الخطابي الذي يرى أنّ إعجاز القرآن إنّما كان باللفظ والمعنى معًا، حيث جَمْع بين أفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف، مضمّنًا أصح المعاني، فالصورة البيانية بجميع عناصرها كيان واحد، هو (نظم القرآن)، وهو الذي أعجز العرب عن القيام له، والوقوف إزائه، وأن الإعجاز (إنّما يقوم بهذه الأشياء الثلاثة: لفظٌ حاملٌ، ومعنى به قائمٌ، ورباطٌ بهما ناظمٌ، وإذا تأملتَ القرآن وجدتَ هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئًا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظمًا أحسن تأليفًا، وأشدّ تلاؤمًا، وتشاكلًا من نظمه)[١].

وقال أبوبكر الباقلاني: (...والوجه الثالث: أنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه، فالذي يشتمل عليه بديع نظمه، المتضمن للإعجاز وجوه: منها: ما يرجع إلى الجملة، ومنها: أنه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة، والتصرف البديع، والمعاني اللطيفة، والفوائد الغزيرة، والحكم الكثيرة، والتناسب في البلاغة، والتشابه في البراعة، على هذا الطول، وعلى هذا القدر، ومنها: لا يتفاوت ولا يتباين، على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها)[٢].

وبهذا يتضح أن النظم يعني انسجام المعاني وتقاربها ووضوح الوشائج والصلات بينها، واختيار أشرف الألفاظ، وأوجزها وأوفاها، وكما يقول العلامة

(١) بيان إعجاز القرآن صـــ ٢٧، ٢٨، ضمن ثلاث رسائل الأعجاز.

(٢) إعجاز القرآن صـــ ٣٥ وما بعدها.

محمد دراز: (... ففي كل جملة منه جهازٌ من أجهزة المعنى، وفي كل كلمة منه عضوٌ من أعضائه، وفي كل حرف منه جزءٌ بقدره، وفي أوضاع كلماته من جمله، وأوضاع جُمله من آياته سرّ الحياة الذي ينتظم المعنى بأدائه)[1].

وارتباط النظم بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية كان واضحًا وملحوظًا وبخاصة عند أولئك الذين تكلموا عن النظم من المفسرين والبلاغيين[2]؛ إذ الآيات القرآنية التي كانت تتنزل منجمةً عقب الأحداث والوقائع ومختلفة الأغراض والموضوعات تجدها في تلك الغاية من التناسق والتناسب الذي تشكلت به السورة دون أن يخل ذلك بفصاحة الألفاظ والكلمات وبلاغة الجمل والآيات ودقة التناسق والمناسبات، الأمر الذي أعجز الفصحاء وأبهر البلغاء، وهو ما دعى الإمام الزمخشري أن يقول: (ومن حقّ مفسّر كتاب الله الباهر، وكلامه المعجز أن يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حُسْنه، والبلاغة على كمالها، وما وقع به التحدي سليمًا من القادح، فإذا لم يتعاهد أوضاع اللغة، فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل)[3].

فمعرفة التراكيب وما تحويه دلالات السياق يعين على فَهْم مراد الله – تعالى من كلامه؛ لأنّ كلام الله – تعالى– يتصل بعضه ببعض اتصالًا مباشرًا، وهو ما عُرف عند العلماء بعلم المناسبة، حيث ارتباط الكلام بعضه ببعض وجعله مترابط الأجزاء محكم البناء، وأنّ (السورة مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله، وأوله بآخره، ويترامى بجملته إلى غرض واحد،

---

(١) النبأ العظيم، صـــ ١٤٦.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ١٩٩/١، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ١٠٦/١، وعبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز في علم المعاني صـــ ٣٩١، والرسالة الشافية صـــ١٤١ ضمن رسائل الإعجاز.

(٣) الكشاف للزمخشري ١٠٦/١.

كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية، وإنه لا غنى لمتفهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها، كما لا غنى عن ذلك في أجزاء القضية)[١].

وذلك ما أفصح عنه الخطابي حيث قال: (واعلم أنّ القرآن إنّما صار معجزًا؛ لأنّه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني، من توحيدٍ له – عزّت قدرته–، وتنزيه له في صفاته، ودعاء إلى طاعته، وبيان بمنهاج عبادته، من تحليل وتحريم، وحظر وإباحة، ومن وعظ وتقويم، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وإرشاد غلى محاسن الأخلاق، وزجر عن مساوئها، واضعًا كل شيء منها في مواضعه الذي لا يرى شيء أولى منه، ولا يرى في صورة العقل أمر أليق منه،... ومعلوم أنّ الإتيان بمثل هذه الأمور، والجمع بين شتاتها حتى تنتظم وتتسق أمر تعجز عنه قوى البشر، ولا تبلغه قدرهم، فانقطع الخلق دونه، وعجزوا عن معارضته بمثله أو مناقضته في شكله)[٢].

والإمام الطيبي باعتباره واحدًا من أرباب علماء البلاغة، ومن أبرز علماء التفسير، فقد استطاع أن يستفيد بمن سبقه من الأئمة الأعلام، وأن ينهل من معينهم في الوقوف على بعض أسرار كتاب الله – تعالى– ومعرفة لطائفه، وكما قال الإمام الرازي: (...أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط)، وقال أيضًا: (ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة – يقصد سورة البقرة– وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنّه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته)[٣]، وقال الشاطبي: (... أن المساقات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات والنوازل وهذا معلوم في علم المعاني والبيان فالذي يكون على بال من المستمع والمتفهم والالتفات إلى أول

(١) النبأ العظيم د/ محمد عبد الله دراز، صـــ ١٩٢.

(٢) بيان إعجاز القرآن صـــ ٢٧، ٢٨ ضمن ثلاث رسائل الإعجاز.

(٣) مفاتيح الغيب ١٢٥/٧.

الكلام وآخره بحسب القضية وما اقتضاه الحال فيها لا ينظر في أولها دون آخرها ولا في آخرها دون أولها فإن القضية وإن اشتملت على جمل فبعضها متعلق بالبعض لأنها قضية واحدة نازلة في شيء واحد فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله وأوله على آخره وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف فإن فرق النظر فى أجزائه فلا يتوصل به إلى مراده فلا يصح الاقتصار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض...)[1]، وقال البقاعي: (فعلم مناسبات القرآن: علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال، لما اقتضاه الحال، وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة، المطلوب ذلك فيها، ونسبته من علم التفسير، نسبة علم المعاني والبيان من النحو، فهو غاية العلوم)[2].

ومن خلال هذه النقول عن العلماء الأثبات ممن جاءوا قبل الإمام الطيبي كالزمخشري (ت ٥٣٨هـ) والرازي (ت ٦٠٦هـ) أو عاصروه كالشاطبي (ت٧٩٠هـ)، أو جاءوا بعده كالبقاعي (ت ٨٨٥هـ) تتضح مكانة الطيبي وأنه استطاع أن يتبوأ مبوأ صدق، وأنه لم يكن بمثابة همزة الوصل بين اللاحقين والسابقين وفقط، بل كانت له من الإسهامات ما سيظهر من خلال تلك النماذج التي سنوردها عند تناول الأمثلة التطبيقية عنده.

وعليه فالنظم أو علم المناسبات علم عظيم الشأن جليل القدر، يتضح من خلاله فهم هدايات القرآن الكريم، وإدراك مقاصده وأغراضه، ودفع الشبهات المثارة حوله قديمًا وحديثا، (فحملات الطعن على القرآن والاعتراض عليه التي واجهه بعض أهل الشرك بها كانت من الدوافع للبحث الدقيق في دفاعات القرآن

(١) الموافقات في أصول الفقه ٤١٣/٣، تحقيق أ.د/ محمد عبد الله دراز.

(٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ١٤٢/١، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٦/١.

عن نفسه، والكشف عن سائر مطاعن أهل الشرك فيه ودحضها وتفنيدها؛ لإثبات سلامة النظم القرآني وتنزهه عن الاختلاف والتناقض والخلل؛ ليثمر البحث في سلامة النظم، ودقة التناسب، ووحدة الموضوعات، ووحدة الأفكار نحو الوحدة البنائية)[١].

النماذج التطبيقية لعلاقة الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية بالنظم القرآني:

ففي سورة الأنفال يذكر أنه بموجب رعاية النظم في هذه السورة الكريمة والذي تخلل جوانبها في أولها وأوساطها وأواخرها يمكنك الوقوف على موضوعاتها وكيف أنه اتحدت مع مقصودها، فيقول: (كأنّ هذه السورة الكريمة من فاتحتها إلى خاتمتها جوابٌ عن سؤال واحد، وإرشادٌ للصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين– في تحري طاعة رسول الله ﷺ وتوخّي رضاه، وامتنانٌ عليهم بما منّ لهم من نعمة الصُّحبة، وإن شئتَ فجرّب ذوقك في تكرار " إذ" في التفصيل الوارد في السورة وإيراد القصص من غير ترتيب، ثم في كلٍّ من تلك الإيرادات الرمز إلى المقصود، ثم في إدراج تقسيم المسئول عنه في أثناء ذلك، يعني قوله: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ ﴾ [٢]: بيانٌ لكيفية تصرّف من وُكل إليه أمر الغنائم، فتفكر في كل ذلك ترَ العجائب، ويتحقق لك ما ذكرتُ ها هنا، وما أسلفت في قصة البقرة من تقديم آخر القصة على أولها؛ لتقف على شَمّة من أسرار كلام الله – تعالى– المجيد، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)، ويزيد الأمر وضوحًا، ومعوّلا على تلك القضية التي تدور السورة الكريمة في فلكها، من حيث اتباع الأمر بالنهي ليتحقق المطلوب على أكمل وجهٍ وأتمّه، فيقول: (واعلم أنه قد سبق أنّ هذه السورة الكريمة مشتملةٌ على تشديد أمر طاعة الرسول ﷺ وتحريض أصحابه – رضوان الله عليهم– على الانقياد لأمره والامتناع عن مخالفته، فلمّا ذكر في مفتتح السورة: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ

(١) الوحدة البنائية للقرآن المجيد د/ طه جابر العلواني، صـــ ١١٨.

(٢) سورة الأنفال من الآية (٤١).

وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾، وساق حديث قصة بدر، وأطال الكلام فيها، كَرّ إلى ما بدأ به، وشدّد فيه غاية التشديد، حيث جعل طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة الله – عزّ وجلّ–، وعقّب الأمرَ بالطاعة النهيَ عن المخالفة بقوله: ﴿ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ ﴾، ثم أكّده بالتذييل التشبيهي، وهو ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا ﴾ ثم تمّم المعنى على المبالغة بضرْب المَثَل ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ﴾، ثم يطوي صفحة تفسيره لهذه السورة الكريمة بفتح باب جميل يبعث على التأمل والتدبر في كلام الله – تعالى–، فيقول: (وأنتَ إذا تأملتَ هذه الخاتمة، وحقّقت النظر في الفاتحة، عند قوله: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾، عرفتَ إيجاب رعاية النظم في المبدأ والوسَط والمنتهى، والله أعلم بالصواب)[1].

فهو يوضح أن مقصود السورة الكريمة إنما هو وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والتحذير من مخالفة أمره،؛ إذ في ذلك تحقق الإيمان، والبُعد عن الشقاق، والثبات عند لقاء الأعداء، وعدم الفرار من الزحف، وتذكير نعم الله – تعالى– ومننه على النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين من نصرٍ في بدر وتأليف للقلوب، وفضْحٍ لإبليس وأعوانه من الكفار والمنافقين، والتحذير من غرورهم، وأن هذا كله يدعو إلى التسليم الكامل والإذعان التام لأوامر الله – تعالى– والاستجابة لما دعا إليه من طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأنه بإمكانك معرفة موضوعات هذه السورة وكيف أنها اتحدت في فاتحتها ووسطها وخاتمتها من خلال التدبر والوقوف على أسرار كتاب الله – تعالى–.

وفي سورة الأنبياء والتي قامت دعائمها وأسست مبانيها على أمر النبوات وما يتبعها من الوحي، وأن ما تخللها من حديث عن الأنبياء والمرسلين إنما هو

(١) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ٢٠/٧، ٥٩، ١٥٩.

تسلية وتسرية لإمام المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولذا لم يراع في حديثها عن الأنبياء الترتيب الزمني بل أيهم أشبه حالًا بالنبي صلى الله عليه وسلم من حيث إيتاء الكتاب، وكثرة الدلائل القاهرة، ومقاساة الشدة، وثقل أعباء النبوة والدعوة، وكثرة التوابع والأمة، فقدم الحديث عن موسى على الحديث عن إبراهيم ونوح- عليهم جميعًا الصلاة والسلام-، فقال: (قلتُ: والذي يقتضيه النظم: ... أن السورة أُسس مبانيها على ذَكْر النبوة، وما يتصل بها من ذكر الوحي، وأن ذِكْر الأنبياء واردٌ لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان من حق الظاهر تقدّم نوح على إبراهيم، وهو على موسى - صلوات الله وسلامه عليهم-، لكنّ المناسبة استدعت تقدم موسى - عليه السلام-؛ لأنّ حاله أشبه بحال النبي صلى الله عليه وسلم...)، ومن ثّم كشف النقاب عن السر في تسمية السورة الكريمة بهذا الاسم، ومدى علاقة اسم السورة بمقصودها، وكيف أن مقصود السورة يمكن في مطلعها، وإن تعجب فعجب من خاتمة السورة؛ إذ ختمت بخاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم، وكل ذلك ينطلق من النظم ويدور في فلكه، فقال: (وقلتُ: تحرير النظم: أنّ هذه السورة من مفتتحها واردةٌ في أمر النبوة وما يتصل بها، ومن ثَمّ سميت بسورة الأنبياء، ألا ترى كيف بدأ بقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ ، وثنّى بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ﴾ ثم ثلث بقوله: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فوبّخهم وسفّههم وسجّل بحرمان عقلهم حيث دفعوا ما فيه شرفهم وعزّهم، ثم ربّع بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ ؛ لينبههم عن رَقدة الجهالة، وأنّهم في ارتكابهم العناد كمن يحاول في إبطال الحكمة في خلق السماء والأرض، وهي العبادة والمعرفة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [(١)]، وقال: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [(٢)]،... ولا

(١) سورة الذاريات الآية (٥٦).

(٢) سورة آل عمران من الآية (١٩١).

يتم ذلك إلا بإنزال الكتاب، وإرسال الرسول، وإظهار المعجزة على يده، فإذا حصلت هذه المطالب وجبت المتابعة، وإنكارها يؤدي إلى إنكار هذا المطلوب، ثم علل استحقاق العبادة بقوله: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾، أي: هو خالقهم ومالكهم ورازقهم ومتولي أمورهم، فيجب عليهم أن يخصوه بالعبادة، وإن استكبر هؤلاء وعاندوا فله من لا يستكبر ولا يعاند، فهو مستغنٍ عن هؤلاء كقوله تعالي: ﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴾ (١)، فلما فرَغ من هذا النوع من الكلام رجع إلى توبيخ المعاندين وقال: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً ﴾ وساق الحديث إلى ما هو سوق الكلام له من قوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾، والله أعلم)، ثم أورد ما ذكرته السورة من قصص الأنبياء لما فيها من تسلية النبي صلى الله عليه وسلم، وتقديم من هو أشبه حاله بحال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي ختمت السورة به؛ إذ خُتمت السورة الكريمة بخاتم الأنبياء والمرسلين، وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه لطيفة شريفة ونكتة بديعة أشار إليها الطيبي حيث قال: (...هذه خاتمة شريفة، حيث خُتمت سورة الأنبياء – عليهم السلام- بختام خاتمهم – صلوات الله عليه وعليهم أجمين، والحمد لله ربّ العالمين)(٢).

ومن يطالع موضوعات هذه السورة الكريمة، والوقوف على مقاصدها، في مظانها من كتب التفسير كـــ " بصائر ذوي التمييز"(٣)، و" مصاعد النظر"(٤)، و" نظم الدرر"(٥) يدرك ما للطيبي – على الرغم من تقدمه عليهما وتأخرهما

(١) سورة الأعراف الآية (٢٠٥، ٢٠٦).
(٢) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ٣٠٧/١٠، ٣٦١، ٤٢٠.
(٣) ٣١٧/١.
(٤) ٢٨٦/٢.
(٥) ٣٨١/١٢، ٤٣٣.

عنه، مما يدل على قدم السبق في ذلك- من جهود ماتعة في الوقوف على بعض أسرار القرآن الكريم، حيث إبراز حُسن نسق موضوعاتها وجميل ترابط أجزائها، وأن وسيلته إلى ذلك هو النظم، فقد استطاع الاستفادة من نظرية النظم هذه في الكشف عن مقاصد القرآن الكريم، وبيان الوحدة الموضوعية في سوره.

وهو بذلك يشير إلى أن قضية الوحدة الموضوعية ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بقضية النظم، فتراكيب الجمل، وترابط المعاني ذلك الذي عنى به النظم هو نفسه مدلول الوحدة الموضوعية؛ إذ ذلك يعين المفسر على فهم كتاب الله – تعالى- والوقوف على بعض أسراره، ويحفظه من الزلل، وإلى هذا المعنى يشير قائلًا: "... فظهر من هذا البيان أنه لا بد للمفسّر من تعيين المقام والنظر إلى ترتيب النظام؛ لئلا يُدحض في مزالّ الأقدام، والحمد لله الذي هدانا لهذا"(١).

---

(١) فتوح الغيب ٣٨/١٠.

وفي سورة المؤمنون يشير إلى أن مقصودها بيان أصناف الناس اتجاه الرسالة المحمدية، فيقول: (...وأما قضية النظم- والله – تعالى- أعلم-: فإن هذه السورة قطب معناها دائر على وصف أُمّة الدعوة أجمع، السابقين منهم، والمقتصدين والظالمين لأنفسهم، ثم الغافلين من الكافرين والمعاندين منهم، فهذه خمسة أصناف، فلما صدّر السورة بالصنف الأول واستوفى مدحهم، وأراد أن يشرع في وصف سائرهم أتى بدليل الأنفس والآفاق تنبيهًا وإيقاظًا للساهين، وبقصص الأنبياء السالفة والأمم الخالية تخويفًا واعتبارًا للغافلين، ثم قال: " وإن هذه أمتكم أمة واحدة" إلى قوله: " فتقطعوا أمرهم"، ألا ترى كيف نعى عليهم غفلتهم بقوله تعالى: " أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين* نسارع لهم في الخيرات" وجَعَلَه تخلّصًا إلى ذِكْر ما للمؤمنين أجمعين من السّبق والمسارعة في الخيرات، فذكر فريقي المؤمنين: المقتصد منهم وهو قوله تعالى: " إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون* والذين هم بآيات ربهم يؤمنون" والظالم منهم، وهو قوله تعالى: " والذين هم بربهم يشركون* والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون"، ويجوز الحمل على هذا؛ لأن الظالم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم هو: من لا يشرك بالله – عزّ وجلّ-، ويخاف الرجوع، وهو مع ذلك يرتكب المناهي، ولأن الأصل أن تكون الخشية لقومٍ والوجل لآخرين، ولأن التقسيم حاصل كما سبق، فلا بد من اعتبار هذا=

المبحث الثاني

الوحدة الموضوعية ومقاصد السورة القرآنية

مقصود السورة هو بمثابة الروح للجسد، يجري في جميع جنابتها، ويتخلل جميع أعضائها، والغرض من المقاصد تحديد المعني الأم، والجوهر الأسمى الذي اعتمدت عليه السورة القرآنية، والإتيان بما يفي حاجات البشر، ويصلح أحوالهم، ويحقق لهم السعادة والفلاح في الدارين: الدنيا والآخرة، ولذلك فهو يعتبر أساس علم التفسير؛ إذ لا يمكن للمفسر فهْم معاني السورة إلا إذا حدد مقصودها، ووقف على أغراضها وأهدافها، (ومن شأن هذا المقصد الكلي أنه حاضرٌ في كل مكونات السورة، وهو متفاوت الظهور في مكونات السورة، فحينا يكون جليا، وحينا يكون بالغ الخفاء، لا يُبصره إلا ذو فراسة بيانية فذة)[1].

فالمقاصد: جمع مقصد، وهو مأخوذة من (قصد) القاف والصاد والدال أصول ثلاثة، يدل على أمرين: أحدها: على إتيان شيء وأمه، والآخر: على اكتناز في الشيء، يقال: قصدته قصدًا ومقصدًا، أتيته واعتمدت عليه[2].

=القسم،٠٠٠٠وهو – أيضا– للتخلص من ذكر الفرق الثلاث إلى ذكر المعاندة من هذه الأمة، ولهذا قال: " بل قلوبهم" أي: قلوب المعاندة، ثم أخذ في وصفهم إلى أن ختم السورة، فبدأ بالعالي، وختم بالعالي، وافتتح بقد أفلح المؤمنون، واختتم بلا يفلح الكافرون. والله يقول الحق وهو السبيل، ٠٠٠٠وكل هذه الرموز يعضده النظم الذي أشرنا إليه في أثناء السورة، ألا ترى كيف أمر حبيبه – صلوات الله وسلامه عليه– بعد أن سلّاه عن إسلام من لا ينجع دعاؤه فيه، بأن يطلب الغفران والرحمة في دعائه لنفسه ولمتّبعيه، ورمز إلى متاركة مخالفيه بقوله تعالى: " وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين"). فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ٥٩٧/١٠، ٦٣٨.

(١) المعنى القرآني، أ. د/ محمود توفيق سعد، صـــ ١٩٦.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس٩٥/٥، لسان العرب لابن منظور٣٥٣/٣، تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي٣٦/٩.

فالمقصَد – بفتح الصاد– مصدر ميمي تدور مادته حول المعنى الأم والغرض المحوري للشيء.

والمقصَد في السورة القرآنية: هو الغرض الذي تتظاهر تراكيب السورة على بيانه، وهو مقصد بياني غير المقاصد الشرعية المقررة عند أهل الأصول(١).

فهو علم يبحث في الحكم والمقاصد الدقيقة التي تمثل روح القرآن الكريم وأسراره العظيمة، ويبرز إعجاز القرآن وبلاغته وكماله؛ لما فيه من تعبير عن حكمة السورة الذي ترجع إليها دلالات السورة ومضمونها؛ لتسري في جميع أجزاء السورة.

قال البقاعي: (فهو علم يُعرف منه مقاصد السور، وموضوعها: آيات السور، كل سورة على حيالها، وغايتها: معرفة الحق من تفسير كل آية من تلك السورة، ومنفعتها: التبحر في علم التفسير، فإنّه يثمر التسهيل له والتيسير)(٢).

وتظهر مكانة هذا العلم في الآتي:

١- اشتمال القرآن الكريم على أسمى المقاصد واعلاها، فهو مصدر النقول والعقول؛ فجميع المقاصد الشرعية الإجمالي منها والتفصيلي مستقٍ من القرآن الكريم تصريحًا أو تلميحًا، تحقيقًا أو تضمينًا.

---

(١)علاقة المطالع بالمقاصد في القرآن الكريم: دراسة بلاغية – نظرية– تطبيقية، أ. د/ إبراهيم صلاح الهدهد، صـــ ٥٦٧.

ومقاصد الشريعة عامة، هي: الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها، وهي تتجمع ضمن هدف واحد، هو: تقرير عبودية الله ومصلحة الإنسان في الدارين. الموافقات في أصول الفقه للشاطبي ٣٤٦/٣، ت: أد/ محمد عبد الله دراز، الاجتهاد المقاصدي: ضوابطه ومجالاته، نور الدين الخادمي، صـــ ٣٥.

(٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ١٥٥/١.

٢- إبراز وجه إعجاز القرآن الكريم وبيان بلاغته ودقة نظمه، ما يحقق لكل سورة وحدة بيانية معجزة تبعث على رسوخ الإيمان في القلب؛ لما فيها من التناسب والتآخي والترابط بين أجزائها.

٣- الوقوف على هدايات القرآن الكريم؛ إذ هو عاملٌ مساعد في التدبر واستجلاء دقائق المعاني وفوائدها؛ لما فيه من انتهاج البُعد المقاصدي(١).

٤- البُعد عن التفسير المذموم؛ إذ سبيلٌ للسلامة من الخطأ والتفكيك بين اللفظ والمعنى، وتفسير كلام الله على غير مراده، فهو يجعل كلام الله مؤتلفًا منتظمًا على نحو كمال نظمه ومعناه(٢).

والإمام الطيبي له جهود بارزة في هذا المضمار تكشف عن علو كعبه وعظيم منزلته، وتضعه في مصاف أهل الفكر المقاصدي، بل ومن واضعي أساسه وقائمي بنيانه، لا سيما وأن هذا النوع من التفسير قليل سالكه، نادر طالبه؛ لجليل خطره، ووعر مسلكه؛ لما فيه من الكشف عن أسلوب القرآن الكريم وبيان طريقته الفذة التي انتهجها في اختيار الألفاظ والكلمات، وتناسب الجمل وتآلف العبارات، فـ (القرآن الكريم بلغ من ترابط أجزائه وتماسك كلماته وجُمله وآياته وسوره مبلغا لا يداينه فيه أي كلام آخر مع طول نفسه وتنوع مقاصده وافتنانه وتلوينه في الموضوع الواحد وآية ذلك أنك إذا تأملت في القرآن الكريم وجدت منه جسما كاملا تربط الأعصاب والجلود والأغشية بين أجزائه ولمحت فيه روحا عاما يبعث الحياة والحس على تشابك وتساند بين أعضائه فإذا هو وحدة متماسكة متآلفة على حين أنه كثرة متنوعة متخالفة فبين كلمات الجملة

(١) مقاصد القرآن الكريم عند النورسي ودورها في بناء الحضارة والعمران (دراسة تحليلية تقويمية) د/ أردوان مصطفى إسماعيل المزروي، صـ ١٣١.

(٢) النبأ العظيم، صـ ١٨٨، بتصرف يسير.

في السورة الواحدة من التناسق ما جعلها رائعة التجانس والتجاذب وبين جمل السورة الواحدة من التشابك والترابط ما جعلها وحدة صغيرة متآخذة الأجزاء متعانقة الآيات)[١].

وقد تعددت آليات الكشف عن مقاصد السورة القرآنية عند الإمام الطيبي، وتنوعت سُبل فقه تلك المقاصد عنده، وذلك من خلال النظر في سياقها، وبيان المعالم التي اختصت بها كل سورة، ومدى التلاحم والترابط بين موضوعاتها المختلفة وبين الغرض الذي سيقت من أجله السورة.

- النماذج التطبيقية على علاقة الوحدة الموضوعية بمقاصد السورة القرآنية عند الإمام الطيبي:

ففي سورة هود يذكر مقصودها الأعظم الذي أُسست عليه السورة الكريمة، وغرضها الأم الذي يسري في جميع موضوعاتها، ومحورها الرئيس الذي عولت السورة عليه حتى في ثنايا حديثها عن القصص، وأن ما ورد فيها من قصص إنما مرده إلى هذا الغرض الذي تهدف السورة الكريمة إلى تحقيقه، فقال: (ثم إنك – أيها المتأمل– إذا أمعنتَ النظر وجدتَ هذه السورة الكريمة إلى خاتمتها مؤسَّسة على تسلّي الحبيب، ودفع نسبة الافتراء من التنزيل، ألا ترى حين شرع في قصة نوح – عليه السلام– وقبل أن يسردها كيف أتى بقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾عاطفاً على مثلها بعد الكلام الطويل، ولهذا ذهب مقاتل إلى أنها في محمد ﷺ[٢]، وإن توسطت بين قصة نوح – عليه السلام–، ولما استوفى

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ/ محمد عبد العظيم الزرقاني ٢٢٧/٢، ط: دار الفكر – بيروت.

(٢) بحر العلوم للسمرقندي ١٤٨/٢، معالم التنزيل للبغوي ٤٤٦/٢، بينما ذهب ابن عطية إلى أنها واردة في شأن نوح – عليه السلام– ينظر: المحرر الوجيز ١٦٧/٣، روح البيان للبرسوي ١٢١/٤. =

حقّها جاء بقوله: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ﴾ مزيدًا للتسلي، وحين خَتَم السورة الكريمة جيء بقوله: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ ﴾، إلى قوله: ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)[1].

ولم يكتف الإمام الطيبي باستخراج مقصود السورة، بل إنه أخذ يذكر من الأدلة والشواهد ما تؤيد هذا المقصود وتدعمه، وأن هذا المقصد ليس استكشافه بالأمر السهل بل إنه يحتاج إلى مزيد من التأمل، وكثير من إمعان النظر والتفكر، وربط عناصر السورة بعضها ببعض، هذا الربط يجعلك ترجع النظير للنظير وإن تخلل أحداث القصة كما في قصة نوح – عليه السلام- الواردة في هذه السورة ففي ثناياها قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾ "إذ المراد به القرآن الكريم، وأن الآية واردة في شأن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا ما ذهب إليه مقاتل أحد التابعين.

=والراجح أنها في شأن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ إذ هو قول جمهور المفسرين، وأنه (إنما جيء به في تضاعيفِ القصةِ عند سَوْق طرفٍ منها تحقيقاً لحقيتها وتأكيداً لوقوعها وتشويقاً للسامعين إلى استماعها لا سيما وقد قُصَّ منها طائفةٌ متعلقةٌ بما جرى بينه صلى الله عليه وسلم وبين قومِه من المُحاجَّة وبقِيَتْ طائفةٌ مستقلّةٌ متعلقةٌ بعذابهم) تفسير أبي السعود ٢٠٥/٤.

(١) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ٢٣/٨، ٣٣.

والطيبي ذكر أن مقصود سورة هود قائم على أمرين، وهذا بخلاف ما ذهب إليه البقاعي الذي أوضح أن مقصودها: " وصف الكتاب بالإحكام والتفصيل، في حالتي البشارة والنذارة المقتضى لوضع كل شيء في أتم محاله وإنفاذه، مهما أريد، الموجب للقدرة على كل شيء". مصاعد النظر ١٧٥/٢، نظم الدرر ٢٢٤/٩.

وهو المعنى الذي جعله المهايمي من أعظم مقاصد السورة. تبصير الرحمن وتيسير المنان بعض ما يشير إلى إعجاز القرآن ٣٣٧/١.

وهكذا اعتمد الإمام الطيبي سياق السورة كأحد الآليات التي أظهرت مقصود السورة وتم من خلاله الربط بين عناصرها وموضوعاتها.

وكان ذلك واضحًا وبارزًا عنده في سورة الأنعام؛ إذ هي من السبع الطوال، فقد ضمت العديد من الموضوعات، وحوت الكثير من الأهداف، فتناولت أصول العقيدة الصحيحة بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة، وإبطال عقائد المشركين والرد على شبهاتهم، وإثبات النبوة والرسالة، وبيان الحكمة من إرسال الله – تعالى– الرسل، وإثبات البعث والحساب، وتبيين الأخلاق الإسلامية والآداب الاجتماعية، وبيان أحوال العرب في الجاهلية، وبيان أن مصدر التشريع والتحليل والتحريم إنما هو الله – تعالى– وحده(١).

فهذه الموضوعات على تنوعها واختلافها إلا أنّه يجمعها مقصد واحد يربط بين وشائجها، ويحدد الغاية من تناولها، وذلك ما أفصح عنه الإمام الطيبي فقال: (واعلم أن قطب هذه السورة الكريمة يدور مع إثبات الصانع، ودلائل التوحيد وما يتصل بها، انظر كيف جعل احتجاج الخليل على قومه، ومآله إلى قوله: ﴿ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ (٢)، وكيف أوقع أَمْر حبيبه – صلوات الله عليه– بقوله تعالى: ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾بعد ذكر معظم الأنبياء واسطة العقد، ولُجّة بحر التوحيد! ثم تفكر في قوله: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ كيف جاءت خاتمة لها! فسبحان مَن له تحت كل سورة من كتابه الكريم، بل كل آية وكلمة أسرارٌ ينفد دون نفاد بيانها الأبحر!)(٣).

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور ١٢٤/٧، التفسير المنير، د/ وهبة الزحيلي ١٢٨/٧.

(٢) سورة الأنعام من الآية (٧٨، ٧٩).

(٣) فتوح الغيب ١٦/٦.

وأنّ السورة الكريمة ختمت بخاتمة شريفة مطابقة لما بُدئت السورة به من المقاصد، (فإن الفاتحة فُتحت بذكر بدء النشأة الأولى؛ لبيان إثبات التوحيد، ونفي الشرك، والخاتمة بذكر بدء النشأة الأخرى، والأمر بالإخلاص، ونفي الشرك. فسبحانه ما أعظم شأنه! وما أعجز بيانه!)[1].

فالإمام في هذه السورة الكريمة قد ذكر مقصودها دون التعرض لموضوعاتها، ودون ذكر عناصرها مكتفيا بما أورده من قطبها الذي دارت حوله، وعمودها الذي أُسست عليه من مفتتحها إلى خاتمتها، بينما في السورة التي تليها، وهي سورة الأعراف ذكر موضوعات السورة، وحدد عناصرها، وألفت الأنظار إلى أن هذه العناصر مترابطة، ولكنه لم يذكر مقصودها، وسكت عنه؛ ليدرّب القارئ الكريم على استخراج هذا المقصد، وتحديد هذا الهدف، حيث قال: (هذا، وإنّ هذه السورة الكريمة من مفتتحها إلى مختتمها، مفرّغة في قالب واحد على نمط عجيب، وأسلوبً غريب؛ لأنه تعالى افتتحها بقوله: ﴿الٓمٓصٓ *كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ ﴾ نهاه صلواتُ الله وسلامه عليه عن ضيق الصدر، والتحرّج عما كان يلقى من المشركين من أنواع الأذى؛ لئلا يتوانى في التبليغ والإنذار، ثم قصّ عليه قصص الأنبياء الماضية، والقرون السالفة، وما كان مغبّة تكذيبهم، وعاقبة صبر الأنبياء؛ تشجيعًا له، وتثبيتًا لقلبه: ﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾[2]، ثم ختم قصص الأنبياء بذكر موسى – عليه السلام– وأطنب في أحوال أمّته إلى أن انتهت إلى قصة بلعام وأحواله، وكانت قصته شبيهة بقصة اليهود الذين أدركوا زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وآذوْه، وأورد قوله: ﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا

(١) المصدر السابق ٣٠٢/٦.

(٢) سورة هود من الآية (١٢٠).

وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴾[١] على ما سبق، فَكَرّ راجعًا إلى ما بُدئت به السورة من: تكذيب القوم، وإعراضهم عن آيات الله، وما كان يتحرج منه صدره – صلوات الله عليه– من قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾، وقوله: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ﴾ أي: يسألونك أيان مرساها؟ مقترحين، فلا تبال بهم، وأجب عن سؤالهم وأنت منشرح الصدر: ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ﴾ إلى آخر نيّف وعشر آيات، على طريقة الأسلوب الحكيم[٢]، وتحريره: أني ما بُعثت لأن أكشف لكم عن أيان الساعة؛ لأنه من الأمور الإلهية، لا اطلاع لي عليها، ﴿ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ﴾، ﴿ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾، وإنما بُعثت لأكشف لكم عن الاستعداد لها، والعمل بما ينفعكم، ومما هو أهم الأشياء، وأدعى إليه أن أكشف لكم عن قبح ما أنتم فيه من الشرك...)[٣].

فمقصود سورة الأعراف، هو: (إنذار من أعرض عما دعا إليه الكتاب في السور الماضية من التوحيد والاجتماع على الخير، والوفاء لما قام على وجوبه من الدليل في الأنعام وتحذيره بقوارع الدارين)[٤].

وتارة يجمع الإمام الطيبي بين مقصد السورة القرآنية وموضوعاتها التي تناولتها، مفصّلًا تلك الموضوعات مستشهدًا عليها، ومستخرجًا لمظانها في

---

(١) سورة الأعراف الآية (١٧٧).

(٢) هو تلقى المخاطب بغير ما يترقّبهُ، إما بترك سُؤله: والإجابة عن سؤال لم يسأله، وإما بحمل كلام المتكلم على غير ما كان يقصد ويريد، تنبيهاً على أنه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال، أو يقصد هذا المعنى. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، لـــ أحمد الهاشمي، صـــ٣١٩.

(٣) فتوح الغيب ٧٠٤/٦.

(٤) مصاعد النظر ١٣٠/٢، نظم الدرر ٣٤٧/٧.

السورة الكريمة، ففي سورة يس يوضح أنها اشتملت على أُسس علم العقيدة، ومبادئه الثلاثة: الإلهيات والنبوات والسمعيات، فيقول: (وقلتُ – والعلم عند الله: إنّ هذه السورة الكريمة من فاتحتها إلى خاتمتها في تقرير أُمّهات الأصول وجميع المسائل المعتبرة التي أوردها العلماء في مُصنّفاتهم بأبلغ وجْهٍ وأتمّه: فقوله تعالى: ﴿ يسٓ * وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ وقوله: ﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ في إثبات المُعجزة،... وقوله: ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ إلى قوله: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ في بيان المسائل المعتبرة في النُبوّات من التبليغ والبشارة والنِّذارة وكيفية دعوة الأمة واستعمال اللين والرفق فيها وعدم الطمع في الأجْر، وأحوال الأُمم وقبول البعض وإباء الآخرين، وبيان خاتمة السعداء منهم والأشقياء، وقوله: ﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ في إثبات القدر وأن الكائنات كلها واقعة بقدر الله – تعالى– ولا يخرج شيء منها من علمه، وقوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا ﴾ الآيات في إثبات القضاء، وأن أفعال العباد مخلوقة لله – تعالى–، وإن كان كسبًا لهم، فَعُلِمَ أنه لا يَجري في المُلك والملكوت طَرْفة عينٍ ولا فَلْتةُ خاطرٍ إلا بقضاء الله وقَدَره وإرادته ومشيئته، وقوله: ﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ وقوله: ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ﴾ وقوله: ﴿ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ في إثبات التوحيد ونفي الأضداد والأنداد ومواجب العبادة، وقوله: ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَـٰهَا ﴾ إلى آخر الآيات كالبحر الزاخر في إثبات الصفات المُعتبرة في أصول الدين مُدْمجًا بدليل الآفاق والنفس على أتمّ وجهٍ، وقوله: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً ﴾ إثباتٌ لأمارة الساعة؛ لأنها هي النفخة الأولى، يدلك عليه قوله: ﴿ تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ ...، كما أن قوله: ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ﴾ إثباتٌ للنفخة الثانية، وقوله: ﴿ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾ إلى آخره في بيان الإعادة، وقوله: ﴿ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ في بيان الحشر،

وقوله: ﴿ فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ بيانٌ للحضور في العَرَصات والموقف، وقوله: ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾ إثباتٌ للحساب والجزاء، وقوله: ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ ﴾ وقوله: ﴿ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ ﴾ في بيان المرجع والمآب بعد الحساب: فريق في الجنة وفريق في السعير، وقوله: ﴿ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴾ في بيان أنّ لهم ما تشتهي الأنفس، وقوله: ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ في بيان حصول ما يلذّ به السمع وتقرّ به الأعين، وهو نيل الحسنة الكبرى والبُغْية الأسنى وهي رؤية الله – تعالى– ...، وقوله: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ كالفذلكة[1] للمذكورات، وقوله: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ كالخاتمة المشتملة على أسرار عجيبة، تتحيّر فيه الأفهام، وتَكِلُّ من شَرْحه الألسن والأقلام، ... وفي تقديم بعض هذه الأصول وتأخير بعضها معانٍ لا تكاد تنضبط، هذا ومن رام التفصيل فقد حاول نَزْف البحر هيهات ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى ﴾ [2] فلِله – تعالى– في كلّ كلمة من القرآن كلماتُه التي ينفد البحر دون نفادها...)[3].

---

(١) هي مُجمل مَا فصل وخلاصته؛ إذ هي نتيجة متفرعة على ما سبق حسابا كان أو غيره. ينظر: الكليات للكفوي ٦٩٧/١، المعجم الوسيط لمعجم اللغة العربية ٦٧٨/٢.

(٢) سورة الكهف من الآية (١٠٩).

(٣) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ١٠٦/١٣، ١٠٧، ١٠٨.

وفي سورة المائدة ذكر أنها مشتملة على أمور الدين من الأصول والفروع، وأمور الدنيا من الفتح والظّفَر والأمن من الأعداء، فهي تحتوي على جميع المسائل العلمية والعملية، الفرعية والأصولية، من العبادات كالصلاة والزكاة والحج، والمعاملات، وكذا المناكحات، والجراحات والحدود والجهاد والأطعمة والأشربة والحكومات وغيرها، السورة مملوءةٌ منها مشحونة بها. فتوح الغيب ٢٥٤/٥، ٢٥٨.

وبالجملة فإن الإمام الطيبي يذكر بأن استخراج مقاصد السورة القرآنية يحتاج إلى مزيد من التأمل، وكثير من التدبر، وأن يُرجع القارئ بصره كرتين، وأن يُحاول جاهدًا الوقوف على أسرار القرآن الكريم، واستخراج لطائفه، ومعرفة مقاصده وأهدافه، والربط بينها وبين موضوعاته، وهذا لا يجيده أصحاب القراءة العابرة، والنظرة الأولية، بل لا بد من إمعان نظرٍ، وغوص فكرٍ، فتراه يقول: (وأنت يا أيها المتأمّل في كتاب الله المجيد إذا أمعنت النظر فيما اشتملت عليه هذه السورة الكريمة وجدتَه...)، وقال: (انظر – يا أيها المتأمل في كتاب الله المجيد، المستخرج للطائفه من قَعْر بحره، المُلتقط لدُرَره بِغَوْص فِكْرِه–...)[1].

(١) فتوح الغيب ٣١٨/١١.

المبحث الثالث

الوحدة الموضوعية والمطالع والمقاطع (الفواتح والخواتم)

كل سورة من سور القرآن الكريم لها طابع خاص، ومقصد تدور حوله، وموضوعات تعالجها يتم الاستبانة عنها من خلال فاتحتها؛ إذ هو النور الذي يكشف عن مدى ترابط نظمها وتلاحم موضوعاتها، وأحد المعالم التي ترشد إلى مقصودها وتوضح طابعها، وقد فطن العلماء إلى أهميتها فتناولوها بالحديث، وكانوا يسمونها بـــ " المطالع" أو بـــ " براعة الاستهلال"[١] أو بـــ " حُسن الابتداء" أو بـــ " حُسن الافتتاح"، ولذلك يقول ابن الناظم: (وإذا نظرتَ إلى فواتح السور جملها ومفرداتها رأيت من البلاغة والتفنن وأنواع الإشارة ما يقصر عن كُنْه وصفه العبارة)[٢]؛ إذ هو أول ما يقرع السمع كما قال السيوطي: (...من البلاغة حُسن الابتداء، وهو أن يُتأنّق في أول الكلام؛ لأنّه أول ما يُقرع السمع، فإن كان محررًا أَقبل السامع على الكلام ووعاه، وإلا أعرض عنه، ولو كان الباقي في نهاية الحُسن فينبغي ان يؤتى فيه بأعذب اللفظ وأجزله وأرقه وأسلسه

---

(١) هو أن يكون أول الكلام دالاً على ما يناسب حال المتكلم، متضمناً لما سيق الكلام لأجله من غير تصريح بل بألطف إشارة يدركها الذوق السليم. أنوار الربيع في أنواع البديع لابن معصوم ١/٥.

وهي فرع عن حُسن الابتداء، قال ابن أبي الإصبع المصري: " باب حُسن الابتداءات، هذه تسمية ابن المعتز، وأراد بها ابتداءات القصائد، وقد فرّع المتأخرون من هذه التسمية براعة الاستهلال". تحرير التحبير ١٦٨/١.

بينما جعلها الخطيب القزويني مرادفة لـــ حُسن الابتداء، حيث قال: " وأحسن الابتداءات ما ناسب المقصود، ويسمى براعة الاستهلال". بغية الإيضاح ٧٠٩/٤.

(٢) المصباح في المعاني والبيان والبديع، صـــ ٢٧١، ينظر: المعنى القرآني، أد/ محمود توفيق سعد، صـــ ٢٢٩.

وأحسنه نظمًا وسبكًا، وأصحّه معنًى، وأوضحه وأخلاه عن التعقيد، والتقديم والتأخير الملبِس أو الذي لا يناسب، قالوا: وقد أتت جميع فواتح السور على أحسن الوجوه، وأبلغها وأكملها، كالتحميدات وحروف الهجاء والنداء، وغير ذلك)[١].

وفاتحة السورة ومطلعها، هي: الجملة الأولى – اسميّة كانت أو فعليّة– وتوابعها من عطف البيان والنسق والبدل والنعت وغير ذلك في صدر كل سورة من سور الذكر الحكيم، ... ويختلف مقدار مطلع السور قِصرًا وطولًا حسبما جاء عليه تركيب الجملة الأولى وتوابعها، فقد يصل إلى عدّة آيات، وقد يكون المطلع آيتين، أو آية واحدة[٢].

وإذا كان هذا شأن المفتتح فإن المختتم لا يقل عنه أهمية ومنزلة؛ إذ فيه استجماع المعاني، وخلاصة المقاصد، فالخواتم (مثل الفواتح في الحُسن؛ لأنها آخر ما يَقرع الأسماع، فلهذا جاءت متضمنة للمعاني البديعة، مع إيذان السامع بانتهاء الكلام حتى لا يبقى معه للنفوس تشوّقٌ إلى ما يُذكر بعد)[٣]، ولذلك اطلقوا عليه مثل ما قالوا في الفواتح " براعة المقطع" أو " حُسن الانتهاء" أو " حُسن الختام"[٤].

وبالجملة فإن (في مطلع كل سورة من المعالم ما يهدي المستبصر إلى أن يستدرك " مقصود السورة" الذي تدور عليه موضوعاتها الكليّة، ومعانيها، مما

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، صـــ٧٧٤.

(٢) علاقة المطالع بالمقاصد في القرآن الكريم، أ.د/ إبراهيم الهدهد، صـــ ٥٥٩، ٥٦٠.

(٣) الإتقان صـــ ٧٧٦.

(٤) وهو عبارة عن أن يؤتى أخر الكلام الذي يقف عليه الخطيب أو المسترسل أو الشاعر مستعذبا حسنا، وأحسنه ما أذن بانتهاء الكلام حتى لا يبقى للنفس تشوق إلى ما وراءه. أنوار الربيع ٥١١/١، تحرير التحبير ٦١٦/٢.

يعدّ عن الأعيان مفتاحًا من مفاتح الباب المقفل إلى حُسن فهْم الكتاب المنزّل، وكذلك في ختامها ما يحصل مقصودها، وما جرى في معاني موضوعاتها...، فلكل سورة ما هو بها أخص، فليس هناك طريقة واحدة تُطبّق على كل سورة، وإن اتفقت السور في بعض المعالم الكُبرى للوصول إلى ما تقوم عليه وبه)[١].

وإن معرفة فواتح السور وخواتمها يتطلب تحصيل قدر كبير من علوم البلاغة، والتبصر بخصائص التراكيب، والتدبر لآيات الذكر الحكيم، وحُسن التأمل لاستخراج مقصود كل سورة، وذلك ما أشار إليه التفتازاني حيث قال: (...فإنك إذا نظرتَ إلى فواتح السور جملها ومفرداتها رأيت من البلاغة، والتفنن وأنواع الإشارة، ما يقصر على كنه وصفه العبارة، وإذا نظرت إلى خواتمها وجدتها في غاية الحُسن، ونهاية الكمال؛ لكونها بين أدعية ووصايا ومواعظ وتحميد ووعد ووعيد إلى غير ذلك من الخواتم التي لا تبقى للنفوس بعدها تطلع، ولا تشوق إلى شيء آخر، وكيف لا وكلام الله – عزّ وجلّ– في الطرف الأعلى من البلاغة والغاية القصوى من الفصاحة، وقد أعجز مصاقع البلغاء، وأخرس شقاشق الفصحاء، ولما كان في هذا نوع خفاء بالنسبة إلى بعض الأذهان... أشار – أي الخطيب القزويني– إلى أنّ هذا إنما يظهر عند التأمل والتذكر للأحكام المذكورة في علمي المعاني والبيان، وأن لكل مقام مقالًا، لا يحسن فيه غيره، ولا يقوم مقامه غيره...)[٢].

وعلاقة هذه الفواتح والخواتم بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية الكريمة كعلاقة الشجرة المترامية الأطراف بأصولها، وكالإنسان المترابط الأجزاء بأساس بنيانه، فكما أن الفرع فيهما لا ينفصل عن الأصل، فكذلك في السورة

---

(١) المعنى القرآني، صـــ ٢٤٣.

(٢) المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، صـــ ٧٤٠، تحقيق: د/ عبد الحميد هنداوي، ط: دار الكتب العلمية– بيروت.

القرآنية، وذلك ما أثار دهشة العلامة د/ دراز حيث قال: (...ولقد وضح لنا بما أثار دهشتنا أن هناك تخطيطًا حقيقيًّا واضحًا ومحددًا يتكون من ديباجة وموضوع وخاتمة، فتوضح الآيات الافتتاحية الأولى من السورة الموضوع الذي ستعالجه في خطوطه الرئيسية ثم يتبع ذلك التدرج في عرض الموضوع بنظام لا يتداخل فيه جزء مع جزء، وإنما يحتل كل جزء المكان المناسب له في جملة السورة، وأخيرًا تأتي الخاتمة التي تقابل الديباجة)[1].

والإمام الطيبي كان أحد أولئك العلماء الذين استطاعوا بما حباهم الله – تعالى– من قوة في البصيرة وقدرة على التأمل والتدبر، وبما لديهم من ملكات بلاغية الوقوف على استخراج فواتح السورة القرآنية وخواتمها والربط بينها وبين موضوعات السورة وعناصرها، بل إنه بيّن جمال النظم القرآني في ترابط أوله بأخره، وأن البدايات تمهيد للموضوعات، والنهايات ملتقى الفضيلة والغايات، حتى إنه نقل عن بعض العلماء قوله: (...والقرآن جميعه بمنزلة سورة واحدة...)[2].

كما تناول الإمام الطيبي نقطة دار حولها خلاف بين العلماء، وما ينتج عنها من استنباط في العلاقات بين السور مفتتحًا ومختتمًا، وهي: ترتيب سور القرآن الكريم، وهل كان ذلك عن توقيف أو اجتهاد؟[3]، وقد ذهب إلى القول الراجح، حيث قال: (...فإنه تعالى أولًا أنزله – أي القرآن– جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزّله منه متفرّقًا على حسب المصالح وكفاء

---

(١) مدخل إلى القرآن الكريم، أد/ محمد عبد الله دراز، صـــ ١٢٨، ط: دار القلم– القاهرة، (٥)١٤٢٤هـــ =٢٠٠٣م.

(٢) فتوح الغيب ١٥٣/١٦.

(٣) الانتصار للقرآن للباقلاني ٢٨٧/١، البرهان للزركشي ٣٨/١، الإتقان للسيوطي، صـــ ١٩٨.

الحوادث، ثم أثبت في المصاحف على التأليف والنظم المثبت في اللوح)[١]، فلا بد من استخراج الروابط على أيّ من الأقوال، وذلك ما قاله الغرناطي: (اعلم أن الأمر في ذلك كيفما قدر فلا بُدّ من رعي التناسب، والتفات التواصل والتجاذب، فإن كان بتوقيف منه صلى الله عليه وسلم، فلا مجال للخصم بعد ذلك التحديد الجليل والرسم، وإن كان مما فوّض فيه الأمر إلى الأمّة بعده، فقد أعمل الكلّ من الصحابة في ذلك جهده، وهم الأعلياء بعلمه، والمسلّم لهم في وعيه وفهمه، والعارفون بأسباب نزول الآيات، ومواقع الكلمات، وإنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من رسول الله صلى الله عليه وسلم...)[٢].

- النماذج التطبيقية في علاقة الوحدة الموضوعية بفواتح السور القرآنية وخواتيمها:

ولقد أبان الإمام الطيبي عن أهمية الفواتح والخواتم حيث ربط بين أول القرآن الكريم المفتتح بالفاتحة وآخره المختتم بالمعوذتين، وما بينهما من علاقة أحدهما مترتبة على الأخرى، حيث قال: (...وفي ذلك الافتتاح وهذا الاختتام رعايةُ حُسْن المَطْلَع والمقطع، أمّا المقطع فحُسنه أنّ " الفاتحة" كما ترى بلغت في حُسْن ألفاظها وتَنَوّق معانيها غايةً من الكمال، مع تضمُّنها معنى ما سيق الكلام لأجله – كما سنبينه– [٣] وهو المسمى ببراعة الاستهلال، وأما المقطع

---

(١) فتوح الغيب ٦١٦/١، وقد نقله عن السيوطي في الإتقان صـــ ١٩٨.

(٢) البرهان في تناسب سور القرآن، صـــ ١٨٣.

(٣) وقد بيّن هذا ووضحه حيث قال: (...إنها مشتملةٌ على أربعة انواع من العلوم التي هي مناط الدين:

أحدها: علم الأصول، ومعاقده: معرفة الله وصفاته، وإليها الإشارة بقوله: ﴿ بِسْمِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ * ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾، ومعرفة النبوات، وهي المرادة بقوله: ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾، ومعرفة المعاد وهو المومى إليه بقوله: ﴿ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾. =

فحُسنه ما آذان إلى استماع ما بُدئ به، فـ " المعوّذتان" مشيرتان إلى الاستعاذة، لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[1] على أحد الوجهين[2]، ومن ثم قال صلوات الله عليه وسلامه حين سُئل: أيّ الأعمال أحبُّ إلى الله – تعالى–؟ قال: " الحالُّ المرتحل"، قيل: وما الحال المرتحل؟ قال: " صاحب القرآن، يضرب من أول القرآن غلى آخره، كلّما حلّ ارتحل. أخرجه الترمذي والدارمي عن ابن عباس[3]، فالتحميد يقتضي الاختتام بناءً على أن المجمل يقتضي تفصيله، والاستعاذة تستدعي الافتتاح، فلا انقطاع إذًا...)[4].

= **وثانيها: علم الفروع**، وأسّه العبادات، وهو المراد بقوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾، والعبادات بدنيّة ومالية، وهما مفتقرتان إلى أمور المعاش من المعاملات والمناكحات، ولا بُدّ لها من الحكومات، فتمهّدت الفروع على هذه الأصول.

وثالثها: علم ما به يحصل الكمال، وهو علم الأخلاق، وأجلّه الوصول إلى حضرة الصمدانية والالتجاء إلى جناب الفردانيّة، والسلوك لطريقه والاستقامة فيها وإليه الإشارة بقوله: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾.

ورابعها: علم القصص والأخبار عن الأمم السالفة والقرون الخالية: السعداء منهم والأشقياء، وما يتصل بها من وعد محسنهم، ووعيد مسيئهم، وهو المراد بقوله: ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾، ونبين هذا المعنى مزيد كشفٍ إذا شرعنا في تفسيرها على هذا النمط، فليكن على ذُكْر منك؛ ليكون حاكما فيصلًا). فتوح الغيب ٦٧٨/١.

(١) سورة النحل الآية (٩٨).

(٢) ينظر: زاد المسير لابن الجوزي ١٤/١، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي ٨١/١، روح البيان للبرسوي ٣/١.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه: أبواب القراءات ١٩٧/٥، حديث رقم (٢٩٤٨)، وقال: " هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ وَإِسْنَادُهُ لَيْسَ بِالقَوِيِّ"، والدرامي في سننه: كتاب: فضائل القرآن، باب: في ختم القرآن ٢١٨٠/٤ ح (٣٥١٩) عن زرارة بن أوفى.

(٤) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ٦٢١/١.

وقد فهم هذا المعنى وترجمه البقاعي، فقد ذكر بأن المناسبة بين الفاتحة والمعوذتين فيها (...الإشارة إلى أن يتعين لتاليه أن يجتهد في تصفية سره وجمع متفرق أمره؛ لينال سؤله ومراده مما أودعه من خزائن السعادة بإعراضه عن العدو الحسود وإقباله على الولي الودود، ومن هنا تعرف مناسبة المعوذتين بالفاتحة)[١].

وفي سورة آل عمران ذكر الإمام الطيبي أن الكاشف عن وحدة ترابط موضوعات السورة، وتناسق مقاصدها إنما هو خاتمتها؛ إذ الإبانة فيها أظهر، حيث قال: (واعلم أنّ هذه خاتمة شريفةٌ مناديةٌ على ما اشتملت عليه السورة من التحريض على الصبر في تكاليف الله، والحثّ على المصابرة مع أعداء الله، والبعث على التقوى في جنب الله[٢]، ولذلك افتتحت السورة بذكْر الكتب المنزلة على أنبياء الله[٣]؛ لتكون الفاتحة مجاوبة للخاتمة، فإنّ كتب الله ما نزلت إلا للحث على التقوى، والصبر على التكاليف، والمصابرة مع الكفار، والمرابطة في سبيل الله، وشُحنت السورة بقصتي بدر وأُحد، وأطنبت فيما يتصل بهما من المكابدة والمشقة وتعيير من عدم الصبر، وكرر فيها ذكر الصبر والتقوى...)[٤].

فالسورة الكريمة خُتمت بتلك القاعدة التي كانت بمثابة الخلاصة للسورة، والمتممة لأمور الدين التي جاءت الكتب السماوية لتقريرها من بيانٍ للأصول والفروع والأخلاق، وذلك ما أبان عنه الفخر الرازي؛ إذ قال: (واعلم أنه تعالى

---

(١) نظم الدرر ٢٢/١.

(٢) فقد قال سبحانه وتعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " سورة آل عمران الآية (٢٠٠).

(٣) قال جل جلاله: " نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ" سورة آل عمران الآية (٣، ٤).

(٤) فتوح الغيب ٣٩٨/٤.

لما ذكر في هذه السورة أنواعا كثيرة من علوم الأصول والفروع، أما الأصول ففيما يتعلق بتقرير التوحيد والعدل والنبوة والمعاد، وأما الفروع ففيما يتعلق بالتكاليف والأحكام نحو الحج والجهاد وغيرهما، ختم هذه السورة بهذه الآية المشتملة على جميع الآداب...، فظهر أن هذه الآية التي هي خاتمة لهذه السورة مشتملة على كنوز الحكم والأسرار الروحانية، وأنها على اختصارها كالمتمم لكل ما تقدم ذكره في هذه السورة من علوم الأصول والفروع فهذا ما عندي فيه)[1]، فوافق مقطعها مطلعها، وردّ عجزها على صدرها مع حُسْن نسق، وجميل نظم، وبديع تركيب، وأن الطيبي قد استفاد من سابقيه، مع زيادة فائدة فلم يكتف بما أوردوه بل يذكر لطائف ودقائق يتضح من خلالها أن القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه وأسراره[2].

وفي أحايين كثيرة يستخرج الإمام الطيبي فوائد وفرائد لم يُسبق إليها، بل جاء اللاحقون ونقل قوله إما بطريق مباشر كالآلوسي[3]، وإما بطريق غير مباشر كالبقاعي[4] والطاهر ابن عاشور[5]، وذلك من خلال ما قاله في سورة طه والتي كشف فيها عن بيان الربط بين خاتمة السورة وفاتحتها وبين موضوعاتها وأغراضها، حيث قال: (اعلم أنّ هذه خاتمة شريفة ناظرة إلى

---

(١) مفاتيح الغيب ٤٧٣/٩، ٤٧٤، وينظر: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي ١٣٥/٦.

(٢) وقد اتضح ذلك عنده أكثر في سورة النساء، حيث أخذ يدلل على ترابط أجزاء السورة وتماسك وحدتها بما أورد الإمام الرازي وما ذكر قبله الإمام الزمخشري من مقاصد للسورة، فأوضح أن خاتمة السورة ناظرة إلى فاتحتها، وانه ما بُدئت بالحديث عن الميراث ختمت به أيضًا. فتوح الغيب ٢٥٠/٥.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٣٩٠/٩.

(٤) نظم الدرر ٣٧٧/١٣.

(٥) التحرير والتنوير٣٤٩/١٦.

الفاتحة، وهي قوله تعالى: ﴿ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ * إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴾ (١)، فإنّه تعالى لمّا أَمَر حبيبه صلوات الله عليه بالإعراض عن الكفّار وعمّا أوتوا من زهرة الدنيا والإقبال بكُلّيته إلى دين الحق والاشتغال بالعبادة والصبر عليها وبأمر أهله، أي: أمته إلى ما بُدئ به، أي: اشتغل بالعبادة على مقدار طاقتك وصبرك، وأمر مَن ينجع فيه تذكيرك ووعظك، وأما هؤلاء المعاندون الذين ما توانيتَ في إنذارهم، وألزمتَ الحجّة عليهم، وظهر إفحامهم حيث اقترحوا الآيات ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓ ﴾(٢) وأنت قد أتيتَ بأمّ الآيات وأعظمها في باب الإعجاز، يعني: القرآن، فأعرض عنهم واتركهم؛ لأنّ التذكير إنما ينفع فيمن يخشى، وأوعدهم بقولك: ﴿ قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴾(٣))(٤).

ولم يقتصر الإمام الطيبي في تناوله للمطالع والمقاطع بالربط بينها وبين موضوعات السورة بل يكشف من خلالهما عن مقصد السورة الكريمة، ومدى الاستفادة منهما في معرفة محورها، ومعناها الأم الذي يتخلل بدايتها وواسطتها ونهايتها، حيث قال عند تناله لخاتمة سورة العنكبوت: (هذه خاتمةٌ شريفة للسورة؛ لأنّها مجاوبة لمفتتحها ناظرةٌ إلى فريدة قلادتها ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ ﴾ لامحةٌ إلى واسطة عقدها ﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ۝٥٦ ﴾ وهي في نفسها جامعة فاذة، ولهذا قال – يريد الزمخشري: ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الأمارة بالسوء والشيطان وأعداء الدين)(٥).

---

(١) سورة طه الآية (٢، ٣).

(٢) سورة طه من الآية (١٣٣).

(٣) سورة طه الآية (١٣٥).

(٤) فتوح الغيب ٢٨٠/١٠.

(٥) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ٢٠٦/١٢.

وأنت ترى – أيها القارئ الكريم– أنّ الإمام الطيبي كثير التعويل على خاتمة السورة والانطلاق من مقطعها لمعرفة محورها والوقوف على مطلعها، وما ذلك إلا لأن كثيرًا من العلماء يعولون على المطلع حيث براعة الاستهلال، فأراد أن يثبت بالتطبيق العملي أن ذكر المفتتح لا يعنى عدم أهمية المختتم بل مَن تمرس على فهْم واستخراج المطلع يستطيع لا محالة بالتأمل والتدبر معرفة المقطع، بل ويمكنه الوقوف على بعضٍ من أسرار القرآن وإعجازه، وذلك ما كان منه في خواتيم سورة الجاثية حيث قال: (واعلم أنك إذا ضممتَ مع معنى الزبد والخلاصة من قوله: ﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ وهو تصوير عظمة الله، معنى قوله: ﴿ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ وأخذتَ فائدة تقديم المسند على المسند إليه فيهما، لمحتَ لمحة من معنى الحديث القدسي: " الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ" أخرجه الإمام أحمد ومسلمٌ وأبو داود وابن ماجه عن أبي هريرة[1]، وإذا تأملتَ معنى الفاء في قوله: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ ﴾، وترتبه على معاني السورة المحتوية على آلاء الله وأفضاله، المشتملة على الدلائل الآفاقية والأنفسية[2]، المنطوية على البراهين

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢١١/١٥ ح(٩٣٥٩)، ومسلم في صحيحه: البر والصلة والآداب، ب: تحريم الكبر ٢٠٢٣/٤ ح (٢٦٢٠)، وأبو داود في سننه: ك: اللباس، ب: ما جاء في الكبر ٥٩/٤ ح (٤٠٩٠)، وابن ماجه في سننه: ك: الزهد، ب: البراءة من الكبر والتواضع ١٣٩٧/٢ ح (٤١٧٥).

(٢) فقد قال جل جلاله: " إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤) وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥)" سورة الجاثية، وقال سبحانه: " اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣)" سورة الجاثية .

الساطعة والنصوص القاهرة في المبدأ والمعاد، عَثَرتَ على أُمور غريبة وأسرار عجيبة)[١].

وبهذا يكون الإمام الطيبي قد أعدّك لتهتدي إلى حُسن البيان، وتعتبر صوغ البلاغة في سوق الكلام، فتتأمل ما في القرآن الكريم من فصاحة لفظٍ وبلاغة أسلوبٍ وإعجاز نظمٍ يأخذ بالقلوب ويبهر العقول، فتقف على جميل بدايات السور ومفتتحها، وكيف كانت بمثابة التمهيد لموضوعاتها، وتستعذب نهاياتها وخواتيمها وكيف كانت بمثابة الخلاصة والزبدة لمحاورها، وهي بين ذلك أكثر التحامًا وأوثق عروة وأشدّ تماسكًا.

وعن العلاقات بين السور، يقول –عند تناوله لسورة القيامة وما في مطلعها من نفي–: (... نعم، فيه جواز القول بتعلّق صدر السورة التالية بخاتمة السابقة لفظًا، وجواز القول بتعلّق بعض السور ببعضٍ معنًى، كما جاء ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [٢]، ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴾[٣]، وفي الكواشي: " لما ختم سورة النساء آمرًا بالتوحيد والعدل بين العباد، أكّد ذلك بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾[٤]، وفي الحديث الذي جاء عن عثمان في اتصال " الأنفال" بـــ " براءة"[٥] شاهد صدق على ذلك، ومن قال باتصال النفي بما قبل السورة، لعلّه ذهب إلى أنّه ردٌّ لقوله: ﴿ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴾ [٦]، كما أنّ

(١) فتوح الغيب ٢٦٣/١٤.

(٢) سورة الفيل الآية (٥).

(٣) سورة قريش الآية (١).

(٤) سورة المائدة من الآية (١)

(٥) أخرجه الإمام في مسنده ٥٢٩/١، ح (٤٩٨)، والترمذي في سننه: أبواب تفسير القرآن ٢٧٢/٥، ح (٣٠٨٦)، وقال: " هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عَوْفٍ".

(٦) سورة المدثر الآية (٥٢).

قوله: ﴿ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴾ [1]، ردعٌ له، كأنّه قيل: ليس كما أراد، أُقسم بيوم القيامة، إنه لا يصل إلى مراده، وقوله: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾ [2]، لقوله: ﴿ لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴾، أي: لا يعتقدون الآخرة فيخافوا عقابها، والله أعلم)[3].

(١) سورة المثر الآية (٥٣).

(٢) سورة القيامة الآية (٣).

(٣) فتوح الغيب١٥٣/١٦، ١٥٤، ينظر: البحر المحيط لأبي حيان٣٤٣/١٠، روح المعاني للآلوسي١٥٠/١٥، التفسير المنير للزحيلي ٢٤٩/٢٩.

المبحث الرابع

الوحدة الموضوعية والقصة القرآنية

يعتبر القصص القرآني أحد خصائص التعبير القرآني الدالة على إعجازه؛ لما فيه من تقرير المعاني في النفوس، وترسيخٍ لها في الفهم، ولقد أخبر الله – تعالى– بالسبب الذي من أجله كرر القصص والأخبار في القرآن، بقوله: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[1]، وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾[2].

فكان من أسرار القصص القرآني الإعجاز، أي: التنبيه على عجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن مبتدأ ومكررًا، وهذا الأمر مرتبط بالبلاغة؛ لأنّ ذكر القصة الواحدة في مواضع متعددة بطرائق متنوعة وأساليب بيانية مختلفة، فيه من الفصاحة ما لا يخفى، وإعلام بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله؛ إذ إن القصة لما كُرّرت كان في ألفاظها في كل موضع زيادة ونقصان وتقديم وتأخير وأتت على أسلوب غير أسلوب الأخرى، فأفاد ذلك ظهور الأمر العجيب في إخراج المعنى الواحد في صور متباينة في النظم وجذب النفوس إلى سماعها لما جبلت عليه من حب التنقل في الأشياء المتجددة، وإظهار خاصة القرآن حيث لم يحصل مع تكرير ذلك فيه هجنة في اللفظ ولا ملل عند سماعه فباين ذلك كلام المخلوقين.

وهذا ما أشار إليه علماؤنا الأجلاء في مصنفاتهم، فقد قال القاضي الباقلاني: (إنّ من وجوه إعجاز القرآن إخباره عن قصص الأوّلين وسير

---

(١) سورة يوسف من الآية (١١١).

(٢) سورة طه الآية (١١٣).

المتقدمين...، إن إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنًى واحدًا من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة، وتتبين به البلاغة، وأُعيد كثير من القصص في مواضع كثيرة مختلفة، على ترتيبات متفاوتة، ونُبّهوا بذلك على عجزهم عن الإتيان بمثله مبتدأ ومكررًا، ولو كان فيهم تمكّنٌ من المعارضة؛ لقصدوا تلك القصة، وعبّروا عنها بألفاظٍ لهم تؤدي تلك المعاني ونحوها، وجعلوا بإزاء ما جاء به، وتوصّلوا به إلى تكذيبه، وإلى مساواته فيما حكى وجاء به، وكيف وقد قال لهم: ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾[1]، فعلى هذا يكون المقصد بتقديم بعض الكلمات وتأخيرها إظهارَ الإعجاز على الطريقين جميعًا)[2].

فمن وجوه إعجاز القرآن: (سَرْدِ الْقَصَصِ الطّوَالِ، وأَخْبارِ القُرونِ السّوَالِفِ التّي يَضْعَفُ في عَادَةِ الفُصَحاءِ عِندَهَا الْكَلامُ، ويَذْهَبُ رَوْنَقُ الْبَيانِ، يَدلّ مَنْ تَأمّلهُ علَى إِعْجَازِهِ مِن رَبْطِ الكَلامِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وتَناسُبِ أَجْزَائِهِ غَايَةَ التّنَاسُبِ، والْتِئَامِ كَلِمَاتِهِ الْمَسْرُودَةِ الْمُتَتَابِعَةِ مَعَ فَصاحَتِها وحُسْنِ تَأْلِيفِهَا، ثُمّ إِذَا تَكَرّرَتْ قِصّةٌ في القُرآنِ اخْتلفَتْ لَفْظًا، فَذُكِرَتْ في كُلّ مَكانٍ؛ لِمعْنًى ضُرِبَتْ لَهُ مَثَلًا غَيْرَ المَكانِ الْآخَرِ، وحُكِيتْ بِعِبَارَاتٍ مُتَغَايِرَةِ النّظْمِ وَالْأَلْفاظِ، والْمَعْنَى وَاحِدٌ مَعَ كَثْرَةِ التّكْرَارِ لِلْقِصّةِ الْوَاحِدَةِ، فَفِي كُلّ مَوضِعٍ تُذْكَرُ بِأُسْلُوبٍ غَرِيبٍ، وتَرْتِيبٍ عَجِيبٍ، مُغايرٍ لِمَا ذُكِرَ في غيْرِ هذا الْمَوضعِ حتّى تَكَادَ كُلّ وَاحِدةٍ تُنسِي في الْبَيَانِ صَاحِبتَها؛ لِمَا تَجَدّدَ لِمَنْ سَمِعَها مِن الْحَظّ الْوَافِرِ، وكُلّ قِصّةٍ تُناصِفُ في الْحُسْنِ وَجْهَ مُقَابِلَتِهَا؛ لِتَفَاوتْهِمَا بِاعْتِبَارِ الْمَقَامَاتِ الْمَحْكِيّةِ فِيها، كَقِصّةِ آدَمَ وحَوْاءَ، ومُوسَى – عَليهِ السّلامُ– مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، ولَا تَسأَمُ النّفوسُ مِن تَرْدَادِهَا، ولَا مُعَادَاة لِمُعَادِهَا، فَلا تُعَادِي الطّبَاعَ، ولَا تَنْفرّ مِن الْمُكَرّرِ الْمُعَادِ في

(١) سورة الطور الآية (٣٤).

(٢) إعجاز القرآن للباقلاني صـــ ٧٤، ٩٣، ٩٤، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ٢٣١/٣.

القُرآنِ مِن قَصَصِهِ؛ لِأَنّ القِصّةَ الْوَاحِدَةَ ذُكِرَتْ في كُلّ مَوْضِعٍ بِحَسَبِ مُقْتَضَى الْحَالِ، وبِهذا يُرَدّ علَى مَن عُمِيَتْ بَصِيرَتُهُ مِن الطّاعِنِينَ في القُرآنِ بِأَنّ فيهِ مُكَرّرَاتٍ كَثِيرَةً، وهُو مِمّا يُنَفّرُ الطّبْعَ السّلِيمَ.

فَفِي الْإِعَادَةِ فَوائِدٌ كَثِيرَةٌ لَا يَعْقِلُها إلّا الْعالِمُونَ، وما تَقَدّمَ مِن إعَادَةِ الْقِصّةِ الْوَاحِدَةِ بِأَسَالِيبَ مُتَغايِرَةٍ مُناسِبٌ كُلّ أُسْلُوبٍ منْها لِمَوضِعِ ذِكْرِهِ، دَلِيلٌ علَى عِظَمِ قُدْرَةِ قَائِلِهَا، وَإِحَاطَتِهِ عِلْمًا بِمُقْتَضَيَاتِ الْأَحْوَالِ)[1].

وقد أشار الإمام الطيبي إلى هذه المعاني الدقيقة، بل وأضاف إليها قانونًا يتم التعامل به في تكرار القصص القرآني، ويكون بمثابة القاعدة والأصل الذي يرجع إليه، فقال: (واعلم أنّ إيراد قصّة واحدة في مقامات متعددة بعبارات مختلفة وأنحاء شتّى، بحيث لا تغيُّر ولا تناقض البتة: من فصيح الكلام وبلغيه، وهو بابٌ من الإيجاز المختص بالإعجاز، ويحتاج في التوفيق إلى قانون يُرجع إليه، وهو أن يُعمد إلى الاقتصاصات المتفرقة، ويُجعل لها أصل؛ بأن يُؤخذ من المباني ما هو أجمع للمعاني، فما نقص فيه من تلك المعاني شيءٌ يُلحق به)[2]، ثم ذكر مثالًا يؤكد هذا الكلام ويدعمه، وسيُحيل إليه عند إيراد أمثاله، وذلك ما سيظهر في النماذج التطبيقية.

- النماذج التطبيقية للوحدة الموضوعية وعلاقتها بالقصة القرآنية عند الطيبي:

ففي سورة هود – عليه السلام–، وما ورد فيها من قصة سيدنا إبراهيم – عليه السلام– يقول الإمام الطيبي: (...أنّه تعالى قَصّ هذه القصة في هذه السورة على نَمط، وفي الحجر على نمط، وفي الذاريات على نمط، قال في الحجر:

---

(١) إعجاز القرآن للشيخ الببلاوي، الطراز في علوم البلاغة وأسرار الإعجاز ليحيى العلوي ٢٢٤/٣.

(٢) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ١٣١/٨.

﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ * إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ * قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ * قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي ﴾ إلى قوله: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ * قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ [1]، وفي الذاريات: ﴿ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ * قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ [2]، فذكر في سورة هود: ﴿ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾[3]، ثم ذكر البشارة بعده، ولم يَذكره في الموضعين، فينبغي أن يُقدّر فيهما قبل البشارة هذا المعنى، ويُقدّر في سورة هود بعد الفراغ من البشارة: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ * قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾ ، لأنّه لم يذكره فيه، وذكره في الموضعين، وزيد في هود حديث المجادلة عن قوم لوط، ولم يُذكر في الموضعين، فيُقدّر فيهما، واختُصر في الحجر – بعد قولهم: " سلامًا"– جوابُهم: " قالوا: سلام"، فيُقدّر ذلك مع ما يتمّ به المعنى، حتى يتّصل بقوله: " لا تَوْجَلْ"، وأما معنى السؤال في قوله: " فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ"، بعد تقديم ما سبق من قوله: " إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ"، فهو: فما شأنكم وما تطلبون بقولكم: " إنا أرسلنا إلى قوم لوط"، وفي تصريح ذِكْر " المرسلين" الدلالة على ذلك؛ لأنّ التعريف فيه كما في قولك: المنطلق ذو جِد، بعد قولك: انطلق زيد إلى موضع كذا، فأُجيب عليه السلام بما عُلم منه أنّ الإرسال لأجل الإهلاك؛ من قولهم: " إلى قوم مجرمين"، فالواجب على المُفسّر الماهِر أن يُراعي في تفسيره في كل

(١) سورة الحجر من الآية (١٥) إلى الآية (٥٨).
(٢) سورة الذاريات من الآية (٢٥) إلى الآية (٣٢).
(٣) سورة هود من الآية (٧٠).

مقام ما يَسلَمُ منه من الخطأ، وأما التوفيق بين مفردات الألفاظ فمن أجل المقاصد، ولا يعلم كُنهه بحسب اقتضاء كل مقام إلا الله – سبحانه وتعالى–، والحمد لله على ما ألهمنا شَمّةً منه)[١].

فالإمام الطيبي أوضح أن القصة القرآنية قد أُخذ كل موقف من مواقفها وجزء من أجزائها في كل سورة ما يناسبها، ويوافق سياقها، وأن على المفسّر الحاذق أن يجمع جوانبها ويرتب أحداثها، مع ثقته بأن في كل سورة ما يوافق نظمها وموضوعاتها، بقي أن يحدثنا عن أهمية تكرار القصص القرآني وفوائده، وكيف أن كل موضع يناسب مقصود كل سورة، فيقول: (...ذَكر – أي الزمخشري– من فوائد التكرير وعدّها خصالا ثلاثًا، أولاها: أن الفائدة راجعة إلى القصص وأنّ كل واحدة منها كافية في الاعتبار مَزجرة للزاجرين، وثانيتها: الدلالة على أن التكرير في نفسه مفيد ومؤثر في نفسه وبه تحصل الملكات، وثالثتها: أنّ الفائدة راجعة إلى المخاطبين ومُؤذنة بأنهم من المصمّمين الذين لا تنجع فيهم المواعظ مرة أو مرتين، وهذا الوجه هو المقصود في الإيراد في هذه السورة – أي سورة الشعراء–؛ لأن السورة من مفتتحها إلى مختتمها مشحونة بذِكْر المعاندين من قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذِكْر القصص لوعيدهم وتسلية لقلب حبيبه صلوات الله وسلامه عليه، ومع ذلك لا يُنافي اعتبار الفائدتين الأخيرتين، ومن ثَمّ وصل قوله: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ [٢] أي: حفّظكه وأثبته في قلبك إثبات ما لا يُنسى حتى اتصل بقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ بيانًا لعنادهم، وتقريرًا بأنّ كلا من القصص مستقلة، قال القاضي[٣]: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ

(١) فتوح الغيب ١٣١/٨، ١٣٢، وينظر: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ٢٩٧٨/١.
(٢) سورة الشعراء الآيات (١٩٢، ١٩٣، ١٩٤).
(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضي البيضاوي ١٧٣/٤.

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ تقرير لحقيقة تلك القصص، وتنبيه على إعجاز القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فإن الإخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون إلا وحيًا من الله - تعالى-)[1].

وفي إطار ما وضع الإمام الطيبي من قانون، يستخرج من خلاله بعضًا من لطائف القرآن الكريم وأسرار إعجازه، وينطلق منه أيضًا في دفع إشكالات واردة على القصة القرآنية اختلفت أقوال المفسرين في توجيهها، من ذلك ما ورد من مغفرة الله –تعالى – لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما في سورة الفتح، وهل كان ذلك استجابة لما أمر الله تعالى به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من استغفاره كما ورد في سورة النصر، حيث (روى محيي السنة[2] عن محمد بن جرير أن قوله: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [3]، راجع إلى قوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَٱسْتَغْفِرْهُ ﴾: واستغفره ليغفر لك الله، فالمراد منه: أنّ هذا التعليل متعلق بمضمر بعد قوله: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾[4]، ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ﴾ [5]، ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ ﴾؛ لأن مرجع السورتين إلى قصة واحدة وحالة واحدة، لا أنّ " ليغفر لك الله " متعلق بقوله: " واستغفره" بعينه، لما يؤدي إلى إخلال النظم المعجز الفائت للقوى والقدر، فكيف ونزول " إنا فتحنا" كان قبل فتح مكة بعد مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) فتوح الغيب للطيبي ٤١٧/١١.

(٢) معالم التنزيل للبغوي ٣٢٦/٥، وهناك تصحيف في اسم الراوي؛ إذ ليس اسمه محمد بن جرير، وإنما عثما بن أبي شيبة– اسمه محمد– عن جرير عن منصور ..

(٣) سورة الفتح من الآية (٢).

(٤) سورة الفتح الآية (١).

(٥) سورة النصر من الآية (٣).

من الحديبية، وتأخر نزول سورة النصر عن الفتح بسنتين[١]؟ وقد أسلفنا في سورة هود قانونًا يضم أطراف قصة واحدة، في مقامات شتى على أنحاء مختلفة، فإن قلتَ: قد دلّ اتحاد القصة على هذا المقدر، فما تصنع بما روى محيي السنة[٢] أيضًا عن الحسين بن الفضل: أن قوله: ﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ ﴾ مردود إلى قوله: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ [٣]، أي: استغفر ﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ ﴾، و﴿ لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ [٤]، قلتُ: هذا مما يقوي ما آثرناه من التعلّق المعنوي[٥]؛ لأنك إذا جعلت التعلق فيه لفظيًّا وقعت في فيفاء، وخطبت خبط عشواء، ألا ترى كيف قُرن مع ﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ ﴾ قوله: ﴿ لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾، وهو علةٌ لقوله: ﴿ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾، المعلَّل بقوله:

---

(١) وقد ذهب الرازي إلى أن سورة النصر نزلت قبل فتح مكة، ٣٤٧/٣٢، وهو ما ذهب إليه أبو حيان وأن النبي صلى الله عليه وسلم عاش بعد نزولها سنتين، ٥٦٢/١٠، وينظر: محاسن التأويل للقاسمي ٥٦١/٩، وأسباب النزول للواحدي، صـــ٤٧٩.

(٢) معالم التنزيل ٢٢٢/٤.

(٣) سورة محمد من الآية (١٩).

(٤) سورة الفتح من الآية (٥).

(٥) وهو (أنه تعالى إنما جعل فتح مكة علة للمغفرة؛ لأنه كان سببًا لأن يؤمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاشتغال بخاصّة نفسه، بعد بذل المجهود فيما كُلّف به من تبليغ الرسالة ومجاهدة أعداء الدين، وبالإقبال على العبادة والتقوى، والتأهب للمسير إلى المقامات العليّة واللحوق بالرفيق الأعلى، وإليه يلمّح بقوله: " إنّ عبدًا خيّره الله بين الدنيا وبين لقائه، فاختار لقاء الله"، ومن ثَم بكى عمّه العباس حين تليت عليه السورة، وقال: نُعيت إليك نفسك، وهذا المعنى هو الذي فهم منه ابن عمه حبر الأمة، حين ردّ على أولئك الشيوخ، وقال: نُعيت إليه نفسه، وصدقه عمر – رضي الله عنه–). فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ٦١٧/١٦، وينظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٢٠٩/٩.

﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا ﴾، وعُطف عليه ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ ﴾، ... ولعل القائل لما نظر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استغفر لذنبه وذنب المؤمنين، لا بد أن يغفر الله له، ويستجيب دعاءه في حق أمته، كما قال: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾[1]، عُلّق به من حيث المعنى، ولأجل هذه الدقيقة آثر لفظ راجع ومردود على متعلق، والله أعلم)[2].

(١) سورة النساء من الآية (٦٤).

(٢) فتوح الغيب للطيبي ٦١٨/١٦، ٦١٩.

المبحث الخامس

الوحدة الموضوعية ودفع موهم التعارض والاختلاف

القرآن الكريم محكم آياته، متين عباراته، رصين أسلوبه، دقيق ألفاظه: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (١)، فلا اختلاف فيه ولا إشكال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾(٢)، فقد سلمت آياته من التناقض حتى ذهب بعض العلماء إلى أن من وجوه إعجاز القرآن الكريم خلوه من المناقضة(٣)، واختلاف التناقض عرّفه السيوطي فقال: (...اختلاف تناقض، وهو ما يدعو فيه أحد الشيئين إلى اختلاف الآخر، وهذا هو الممتنع على القرآن...)(٤)، وإنما تنزه القرآن الكريم عن التعارض والمناقضة؛ لأنه كلام الله – تعالى– فـــ (لا يجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين وقراره المكين لا يوما أو بعض يوم بل على أن تذهب العصور وتجيء العصور فلا المكان يريد بساكنه بدلا ولا الساكن يبغي عن منزله حولا)(٥)، ولفقدانه شروط التعارض التي نصّ العلماء على أن وجودها دليل التعارض، والتي منها: اتفاق المحل، بمعنى: أنْ يكون النصان المتناقضين واردين في محل واحد، فإذا اختلف المحل فلا تعارض، ومنها: اتحاد الزمن: بأن يكونا في وقت واحد، فإذا وردا في زمنين مختلفين فلا تناقض، ومنها: تحقق الاختلاف بين النصين: بأن يدل

---

(١) سورة هود من الآية (١).

(٢) سورة النساء الآية (٨٢).

(٣) معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي ٧٣/١، وينظر: مفتاح العلوم للسكاكي، صـــ ٥١٢، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى العلوي ٢٢١/٣.

(٤) الاتقان صـــ ٦١٨.

(٥) النبأ العظيم صـــ٩٢.

أحدهما على الإثبات والآخر على النفي، أو أحدهما على الحِل والآخر على الحرمة، وهكذا، ومنها: أنْ يكون النصان قطعيين في الثبوت والدلالة(١).

فإذا كان هناك ما يوهم ظاهره التعارض، فلا بد من معرفة أن الجهات بينهم مختلفة بأن يكون أحدهما حقيقة والآخر مجازًا، أو اختلاف جهتي الفعل وغير ذلك من أسباب الاختلاف التي ذكرها الزركشي حيث قال: (للاختلاف أسباب: الأول: وقوع المخبر به على أحوال مختلفة وتطويرات شتى كقوله تعالى في خلق آدم إنه: "من تراب"، ومرة "من حمأ مسنون"، ومرة "من طين لازب"، ومرة "من صلصال كالفخار" وهذه الألفاظ مختلفة ومعانيها في أحوال مختلفة؛ لأن الصلصال غير الحمأ والحمأ غير التراب إلا أن مرجعها كلها إلى جوهر وهو التراب ومن التراب تدرجت هذه الأحوال... السبب الثاني: لاختلاف الموضوع كقوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ (٢) وقوله: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (٣) مع قوله: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴾ (٤)، قال الحليمي: فتحمل الآية الأولى على السؤال عن التوحيد وتصديق الرسل والثانية على ما يستلزم الإقرار بالنبوات من شرائع الدين وفروعه حمله غيره على اختلاف الأماكن؛ لأن في القيامة مواقف كثيرة فموضع يسأل ويناقش وموضع آخر يرحم ويلطف به وموضع آخر يعنف ويوبخ وهم الكفار وموضع آخر لا يعنف وهم المؤمنون... الثالث: لاختلافهما في جهتي الفعل كقوله تعالى:

---

(١) الأحاديْثُ المُشْكِلَةُ الواردةُ في تفسير القرآنِ الكريم (عَرْضٌ وَدِراسَةٌ)، د/ أحمد بن عبد العزيز بن مُقْرِن القُصَيِّر، صـــ ٣٩، ٤٠.

(٢) سورة الصافات الآية (٢٤).

(٣) سورة الأعراف الآية (٦).

(٤) سورة الرحمن الآية (٣٩).

﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾[١] أضيف القتل إليهم على جهة الكسب والمباشرة ونفاه عنهم باعتبار التأثير ولهذا قال الجمهور إن الأفعال مخلوقة لله تعالى مكتسبة للآدميين فنفي الفعل بإحدى الجهتين لا يعارضه إثباته بالجهة الأخرى... الرابع: لاختلافهما في الحقيقة والمجاز كقوله: ﴿ وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ ﴾[٢] أي وترى الناس سكارى بالإضافة إلى أهوال القيامة مجازا وما هم بسكارى بالإضافة إلى الخمر حقيقة...)[٣].

ولما كانت كل سورة من سور القرآن الكريم متسقة آياتها، ومتحدة موضوعاتها، ومتكاملة بناؤها بناءً محكمًا لا زيادة فيه ولا نقص، وأن كل سورة لها طابعها الخاص في تحقيق مقصودها وأهدافها، وفي معالجة قضاياها، وفي ألفاظها وسياقها، فإنه إذا تعدد الموضوع الواحد وتكرر في أكثر من سورة، فإنه في كل سورة يناسبها شكلًا وموضوعًا، فلا يجوز أن يجتزئ أحد هذه الموضوعات ليقابل به الآخر اللهم إلا إذا كان بيانًا لمدى رحمة الله – تعالى– بعباده من التدريج في التشريع أو إظهارًا لعجزهم كالتدرج في التحدي والإتيان بمثل القرآن الكريم، وغير ذلك، وبهذا الأمر يمكنك أن تدفع كثيرًا مما يوهم ظاهره التعارض؛ إذ معرفة سباق السورة ولحاقها، والوقوف على نظمها وسياقها، واستخراج مقصودها وأهدافها يُزال كثير من الإلباس حول آياتها، ويُرفع العديد من موهم اختلافها وتناقضها، وذلك ما عوّل عليه الإمام الطيبي ووضعه كأحد عناصر دفع موهم التعارض والتناقض، وهذا ما تراه بارزًا في تلك الآيات التي تناولها مما يوهم ظاهرها تكرارًا وتعارضًا.

---

(١) سورة الأنفال من الآية (١٧).

(٢) سورة الحج من الآية (٢).

(٣) البرهان ٥٩/٢، الإتقان صـــ ٦١٤.

- النماذج التطبيقية في الوحدة الموضوعية ودفع موهم التعارض عند الإمام الطيبي:

آيات التحدي الواردة في البقرة ويونس وهود فقد اختلفت صور التحدي فتارة بسورة وتارة بعشر سور، ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ (١)، وفي آية ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾ (٢)، بينما في سورة هود قال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ ﴾ (٣)، وقد أجاب العلماء عن ذلك بما حاصله: أنّ هذا تدلى في التحدي والإعجاز، وأنه وقع أولاً بكل القرآن في قوله: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ ﴾ (٤)، فلمَّا عجزوا تحدَّاهم بعشر سورٍ، فلما لم يقدروا تحدَّاهم بسورة، وفي نهاية تحداهم بقوله: ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ ﴾ (٥)، أو أنه لما جاء التقييد بمفتريات في سورة هود ناسب ذلك التوسعة في العدد فجاءت فيها التحدي بعشر بخلاف ما في البقرة ويونس فلم يكن هذا التقييد بل فيهما المماثلة فجاء فيهما على نحو المطابقة والتضييق بسورة واحدة(٦).

أما الإمام الطيبي فإنه قد سلك طريقًا جديدًا، ومنهجًا فريدًا حيث النظر في سياقات السور، والوقوف على مقاصدها، مما يدلك على اتحاد موضوعاتها،

---

(١) سورة البقرة من الآية (٢٣).

(٢) سورة يونس من الآية (٣٨).

(٣) سورة هود من الآية (١٣).

(٤) سورة الإسراء من الآية (٨٨).

(٥) سورة الطور من الآية (٣٤).

(٦) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، للغرناطي ٢٧/١، أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل لزين الدين الرازي، صـــ ١٩٨، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، صـــ ٢٦٢، كشف المعاني في المتشابه من المثاني لابن جماعة، صـــ٩١.

حيث قال – عند تناوله لسورة هود–: (...وقلتُ– والعلم عند الله–: والذي يقتضيه المقام أنّ التي في سورة البقرة ويونس واردةٌ بعد إقامة البرهان على إثبات التوحيد وإبطال الشّرك، فالواجب بعد ذلك إقامة البرهان على إثبات نُبوّة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا تثبت النّبوة إلا بإظهار المعجزة، وهي التحدي بسورة فذّةٍ من هذا الكتاب الكريم، ولهذا حدّ المحققون القرآن بأنه: هو الكلام المنزّل على محمد صلى الله عليه وسلم للإعجاز بسورة منه [١]، وما نحن بصدده – يقصد سورة هود – حيث التحدي بعشر سور– واردٌ في تعنت الكفرة واقتراحهم الآيات عنادًا واستهزاءً، كما قال المصنّف: " وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به، ويقولون: هلّا أُنزل عليه ما اقترحنا نحن، ولِمَ أُنزل ما لا نريده"، بل هو ليس بآية، وإنما هو من افترائك، وليس من عند الله، وكان يضيق لذلك صدره، واعلم أنّه تعالى لمّا ذكر قوله: ﴿ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ ﴾ سلّاه صلوات الله عليه بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴾ ، ولما أضرب عن ذلك الاقتراح، وحكى نوعًا آخر من قبائحهم أعظم من ذلك، وهو طَعْنهم في القرآن، بقوله: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُ ﴾ ، أَمَر حبيبه – صلوات الله عليه وسلامه– بأن يجيب عنه بقوله: ﴿ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ ﴾ على مقتضى سُؤالهم، وهو كالقول بالموجب[٢]، يعني: هَبُوا أنه كما تزعمون مفترى، فأتوا أنتم بعشر سور مثله،

---

(١) جمع الجوامع لتاج الدين السبكي، ٣٠٥/١، ومعه تشنيف المسامع بجمع الجوامع للزركشي.

(٢) هو أن يُخاطب المتكلم مخاطبًا بكلام فيعمد المخاطَب إلى كل كلمة مفردة من كلام المتكلّم فيبني عليها من لفظه ما يوجب عكس معنى المتكلّم، وذلك عين القول الموجب؛ لأنّ حقيقته ردّ الخصم كلام خصمه من فحوى لفظه، فهو حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده، مما يحتمله بذكر متعلقه. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الإصبع المصري، صـــ٥٩٩، خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي ٢٥٩/١.

أي: ما أقول بمثله كله، ليس فيه اختلاف من جهة المعاني والألفاظ والإخبار عن المغيبات والقصص والأحكام والأخلاق وغير ذلك، بل نُبذاً منه جامعًا لهذه المعاني، ولم يكن فيه تناقض، واعلم أنّ المراد بتخصيص العدد إيثار طريق القصد، وما به تختلف المعاني، كما يُوجد في الكلام المبسوط الذي له ذيول وتتميمات، وذلك لِدَفع الافتراء ونفي التّهمة، وأنّه من عند الله لا من عنده، يعني: لو كان مُفترًى من عندي لوجدتم فيه اختلافًا كثيرًا، وهذا لا يتمّ بسورة فَذّة، كسورة الكوثر والإخلاص وأشباههما، كما يتمّ في التحدّي لمجرّد إثبات النبوة، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[1]...)[2].

وفي سورة الفرقان ذكر الإمام الطيبي أن السورة الكريمة في بدايتها جعلت الرسالة المحمدية مقتصرة على الإنذار ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[3] بينما في نهايتها ذكرت الأمرين البشارة والنذارة ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[4]، الأمر الذي يدعو إلى التساؤل ومعرفة العلة،

---

(١) سورة النساء الآية (٨٢).

(٢) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ٣٠/٨، ٣١.

وقد نازع الشهاب الخفاجي هذا الاستنباط الذي ذكره الإمام الطيبي، فقال بعد أن ذكر كلامه دون أن ينسبه إليه: "...فمقامه يناسب التكثير؛ لأنه أمر مفترى عندهم فلا يعسر لإتيان بكثير مثله، فمع قلة جدواه لا وجه لما أسسه عليه..." عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي ١٣٦/٥، وينظر: تفسير الآلوسي ٣٢/٧.

وأرى- والله أعلم- أن ما أورده الإمام الطيبي سديد وهو غير بعيد فلا وجه للاعتراض عليه؛ إذ هو استنباط جديد معتمد على سياقات السور، وبيان الموضوعات التي جاءت لتعالجها كل سورة على حِدَه؛ إذ ذاك هو النظم القرآني.

(٣) سورة الفرقان الآية (١).

(٤) سورة الفرقان الآية (٥٦)

وبخاصة والسورة واحدة، فيدفع الطيبي هذا الإيهام مبيّنا محور السورة ومقصودها، وأن (المعنى الذي سيقت هذه السورة الكريمة له: الحديث في الرسول وإنذاره، وبقية المعني دائرة عليه، ومن ثَمّ كرّ إلى ذكر الآيات الدالة على الوحدانيّة من دلائل الآفاق والأنفس قائلًا: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا ﴾، ثم أعاد قوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾، وههنا نُكتة شريفة، وهي: أنه تعالى لمّا خصّ ذكْر النذير في الفاتحة أمسك عن ذكر المؤمنين، وحين قرنه بالبشير في هذه الآية أتى بذكْر الفريقين، أعني: ﴿ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴾، ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ﴾ ؛ لتكون الخاتمة مُشتملة على ذكر الأولياء فلا تخلو السورة من ذكرهم، والله أعلم)[1]، أي: أن السورة الكريمة لما دارت حول بيان الدعوة المحمدية وأنها احتوت على الإنذار للكافرين والتبشير للمؤمنين، وأن فاتحتها عالجت العنصر الأول وهو الإنذار، ولذا لم تذكر التبشير، بينما في خاتمتها تناولت العنصرين جميعًا الإنذار والتبشير، لذا تراها ذكرت الفريقين الكافرين والمؤمنين، وعليه زال الإلباس ورُفع الإشكال.

وفي سورة الجاثية ذكر الإمام الطيبي لطيفة بديعة وفائدة جديدة، مفداها: أن السورة الكريمة في مطلعها عددت أنواع الأدلة الدالة على وحدانية الله –تعالى–، ثم ذكرت ثلاثة مقاطع ﴿ لَّـَٔايَـٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾، ﴿ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾، ﴿ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ، فما وجه اختصاص كل آية من هذه الثلاث بما به خصت خواتمها من صفات المعتبرين بها؟ أجاب عن ذلك بأن (الناس ثلاث طبقات: منهم من سَلِمت فطرته الأصلية من الشكوك، ومنهم من اجتالتهم شياطين الإنس والجن، وأبطلت استعداداتهم كالفلاسفة، ومنهم من بقي بين المنزلتين، ووقع في ورطة الشكوك والشبهات، فالأولون: تكفيهم أدنى إشارة، قال:

(١) فتوح الغيب ٢٦١/١١، ٢٦٢.

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى * فصادف قلبًا خاليًا فتمكّنا(١)**

فهم المؤمنون، فقيل لهم: ﴿ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾، والفريق الثاني: إن ساعدهم التوفيق لا يضطرهم إلى المعرفة إلا دليل الأنفس، قال حجة الإسلام: الطبيعيون أكثروا البحث عن عالم الطبيعة، وعن عجائب الحيوان، وأكثروا الخوض في تشريح أعضاء الحيوان، فرأوا فيها من عجائب صنع الله وبدائع حكمته ما اضطروا معه إلى الاعتراف بفاطر حكيم مطّلع على غايات الأمور ومقاصدها، فهؤلاء نودوا بقوله: ﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾، والمترددون بين النفي والإثبات: لا يحتاجون إلى التعمق، ولا يكفيهم أيضًا أدنى تأمل، فنُبّهوا بقوله: ﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ إلى قوله: ﴿ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾، والله أعلم بحقيقة كلامه)(٢).

كما أن الله – تعالى– عدد في مطلعها استخفاف المشركين وتكذيبهم بالقرآن، ووَصَفَهم بالكذب والإفك والإثم والاستكبار، ورتّب عليه البشارة بالعذاب، وحكى عن استهزائهم وانتهاز فُرصتهم ليَستخفّوا به، ورتّب عليه العذاب المهين، وشرع في ذكر الإشارات الدالة على ذلك، وتنوعت طرائق التعبير، واختلفت صور الأساليب، فتارة يذكر الآيات ويضيفها إلى لفظ الجلالة كما في قوله: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ﴾، وقوله: ﴿ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ﴾، وتارة يضيفها إلى لفظ الربوبية كما في قوله: ﴿ هَٰذَا

---

(١) البيت نسبه الجاحظ إلى مجنون بني عامر، ينظر: كتاب الحيوان ١٦٩/١، ونسبه الراغب الأصفهاني إلى يزيد بن الطثرية، ينظر: محاضرات الأدباء ومحاضرات الشعراء والبلغاء ٥٥/٢.

(٢) فتوح الغيب٢٣٦/١٤، ٢٣٧، وينظر: مفاتيح الغيب للرازي٢٣٠/٢٧، ملاك التأويل للغرناطي ٤٤١/٢.

هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ ﴾، فيذكر أن من أسرار القرآن في ذلك هو بيان ما عليه المشركون من الجحود وقلب النعم، حيث قال: (...إن المشار إليه بقوله: ﴿ هَـٰذَا ﴾ المذكور، يعني: ما ذُكر من أول السورة من الآيات الدالة على الوحدانية من العزيز الحكيم، وكأفعاله الخاصة الآفاقية والأنفسية، ﴿هُدًى﴾، أي: هدى لا يُقادر قدره، ولا يُكتنه كُنهه، يؤيده قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ ﴾، وتفسير المصنف: "تلك" إشارة إلى الآيات المتقدمة، فيكون المراد بقوله: ﴿ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ أيضًا: تلك الآيات، وفي اقتران ذِكْر " الرب" معه، وذكر " الله" في قوله: " تلك آيات الله": إشعار بأنّ تلك التلاوة وذلك الإرشاد لم يكن إلا لمحض الإنعام، والكافرون عكسوا القضية، فكفروا بدل الشكر، ولذلك جيء بقوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾، وبقوله: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ﴾، وفَصَل الأولى – أي جعل فاصلة الآية الأولى– بقوله: ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ، والثانية بقوله: ﴿ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾؛ ليُنبّه بالشكر على الإنعام، وبالتفكر على أن ذلك الإنعام أيضًا دليل من الآية السابقة، وأُخّرت من أخواتها تطرئة للتنبيه، وعُلم من ذلك أن التفكر ملاك التعقل والإيقان والإيمان، والله أعلم)[١].

وكأني بالإمام الطيبي يشير إلى ما ذكره القاضي عبد الجبار– بعد ذكر هذه الآيات–: (...وكلّ ذلك بَعْث من الله – تعالى– على النظر والتذكر في هذه الأدلة، وفي هذه النعم ليقوم بشكرها، ثم قال من بعد محققًا لما ذكرنا ﴿ هَـٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ فأشار إلى ما تقدم من الأدلة، وبيّن أنها هدى، ولولا أنها هدى للكافرين لما توعدهم بالعذاب إذا عدلوا عنها...)[٢].

(١) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ٢٤٤/١٤.

(٢) تنزيه القرآن عن المطاعن، صـــ ٣٨٤.

المبحث السادس

الوحدة الموضوعية وتقرير أمهات

مسائل الأصول والفروع (العقيدة والشريعة والأخلاق)

من سمات القرآن الكريم أنه جامع بين الهداية والإعجاز، فهو كتابُ هدايةٍ، ومنهجُ حياةٍ، فيه بيانٌ مشرق لكلّ ما يحتاجه النّاس، ويكفل لهم السعادة في الدنيا والآخرة، كما أنه معجزةٌ متجددةُ العطاء، قائمةٌ بحجة الله البالغة في كلّ زمان، وتظهر جلائل حكمته في كلّ مقام، فيرى النّاس منها أتمّ ما يناسب أحوالهم في كلّ عصر، فهو دعوةٌ وحجةٌ، دعوة في معانيه، حجّةٌ في ألفاظه، قائمٌ في فَمِ الدنيا شاهدًا بإعجازه، يتجدد كلّما جدّ في حياة الناس جديدٌ، ولذلك كان من وجوه إعجاز القرآن الكريم ما قاله الشيخ الزرقاني: (وفاؤه بحاجات البشر، بمعنى أنه جاء بهدايات تامة كاملة، تفي بحاجات البشر في كل عصر ومصر وفاء لا تظفر به في أي تشريع ولا في أي دين آخر، ويتجلى هذا فيما يلي:

أولا: إصلاح العقائد عن طريق إرشاد الخلق إلى حقائق المبدأ والمعاد وما بينهما تحت عنوان الإيمان بالله تعالى وملائكته ورسله واليوم الآخر.

ثانيًا: إصلاح العبادات عن طريق إرشاد الخلق إلى ما يزكي النفوس ويغذي الأرواح ويقوم الإرادة ويفيد الفرد والمجموع منها.

ثالثًا: إصلاح الأخلاق عن طريق إرشاد الخلق إلى فضائلهم وتنفيرهم من رذائلها في قصد واعتدال وعند حد وسط لا إفراط فيه ولا تفريط.

رابعًا: إصلاح الاجتماع عن طريق إرشاد الخلق إلى توحيد صفوفهم ومحو العصبيات وإزالة الفوارق التي تباعد بينهم...)[1].

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن ٢/٢٩٤.

ولذلك كان من جوانب التجديد في التفسير استخراج هدايات القرآن الكريم، وبيان حكمة الله فيما شرع للعالمين في هذا الكتاب المبين، الأمر الذي يدفع النفوس إلى الاهتداء بهدي الله – تعالى-، والاستمساك بحبله المتين، وكما قال الإمام محمد عبده: (والتفسير الذي نطلبه هو فهْم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة، فإنّ هذا هو المقصد الأعلى منه، وما وراء هذا من المباحث تابع له وأداة أو وسيلة لتحصيله،... وأن على المفسر الذهاب إلى فهم المراد من القول، وحكمة التشريع في العقائد والأحكام على الوجه الذي يجذب الأرواح، ويسوقها إلى العمل والهداية المودعة في الكلام؛ ليتحقق فيه معنى قوله: ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً ﴾ (١) ونحوهما من الأوصاف، فالمقصد الحقيقي وراء تلك الشروط والفنون هو الاهتداء بالقرآن)(٢).

والإمام الطيبي كان أحد أولئك المجددين الذين اتخذوا من بيان معاني المفردة القرآنية وحلّ ألفاظها، وما يحويه النظم القرآني وما اشتمل عليه من الأساليب الرفيعة مما فيه من نكات بلاغية، وأسرار بيانية وفوائد بديعية هدفًا للوقوف على هدايات القرآن الكريم وغاية لإبراز بعض ارشاداته، وبخاصة في إطار كل سورة بعد معرفة مقاصدها وأغراضها؛ إذ من (التفسير الموضوعي تفسير سورة بعد تحديد هدفها العام، واتخاذه موضوعًا يجعل عنوانًا للبحث تدور حوله وحول عناصره وأطرافه ومتعلقاته آيات السورة أو معظم آياتها – فإن لكل سورة هدفًا ولا شك واستقلالًا موضوعيًّا ومقصدًا من مقاصد القرآن، فهو

(١) سورة الأعراف من الآية (٥٢).

(٢) تفسير القرآن الحكيم ٣٨/١، ٤٣. بتصرف، وينظر: المجتمع الإسلامي كما تصوره سورة النساء للشيخ/ محمد المدني، صـــ٦، ومناهل العرفان للشيخ الزرقاني ٩/٢.

فيها متكامل متشخص، حتى إذا تكرر في سورة أخرى فليس تكرارًا محضًا، بل يكون تشخصًا جديدًا وصورة متكاملة، إن أفردت بالبحث كانت موضوعًا تامًّا متميزًا لا مرآة يرى فيها شخص الموضوع الأول في السورة الأخرى- كما يعلم كل ذلك بالمراجعة والممارسة)[1].

وأن الإمام قد جمع في حاشيته: فتوح الغيب نوعين من التفسير، أحدهما متبعًا فيه الإمام الزمخشري الذي تدور الحاشية في فلكه، وحول حل ألفاظ كتابه، والثاني طَرْق باب جديد يكون من السابقين إلى توضيح معالمه بصورة تطبيقية، والنوعان هما[2]: التفسير الموضعي والذي يتناول المفسر فيه الآية أو المجموعة من الآيات بتفسير ألفاظها وبيان تراكيبها واستخراج أحكامها وفوائدها، والتفسير الموضوعي والذي يتناول المفسر فيه موضوعًا قد يكون في القرآن الكريم كله وقد يكون في السورة الواحدة، ومعرفة الروابط الخفيّة التي تربط بين عناصرها، وبيان أنها متحدة في موضوع وإن تعددت قضاياها.

---

(١) التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد، أ.د/ عبد الغفور محمود مصطفى جعفر، صـــ٥٥٥.

(٢) النوع الأول: التفسير الموضعي: وهو الذي يرجع فيه المفسر إلى موضع واحد من القرآن الكريم، متتبعًا ترتيب الآيات في سورها، وهذا اللون قد يكون بالمأثور، أو بالرأي المحمود، وقد يكون تحليليًا عند التفصيل، أو إجماليًا عن الاختصار، وقد يكون مقارناً إذا اتبع المفسر منهج الموازنة.

النوع الثاني: التفسير الموضوعي: وهو الذي يلتزم في المفسر موضوعًا لا موضعًا بعينه، فيجمع الآيات الكريمة من مواضعها، ويقيم منها بناءً متكاملًا يقرر موقف القرآن من قضية ما.... المدخل إلى التفسير الموضوعي: مناهج ونماذج، د/ عبد الستار فتح الله سعيد، صـــ ١٨، مكتبة الإيمان، ط (٥) ١٤٢٣هـــ=٢٠١١م، وينظر: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم للشيخ/ محمد الغزالي، صـــ٥.

النماذج التطبيقية للوحدة الموضوعية في تقرير أمهات مسائل الأصول والفروع:

ففي سورة البقرة والتي هي إحدى السبع الطوال، وأجمع سور القرآن الكريم؛ لاحتوائها على أصول العقيدة، ومبادئ الشريعة؛ إذ "عالجت السورة المجتمع الإسلامي فذكرت الكثير من التشريعات والقوانين، وما يجب أن يكون عليه المجتمع المثالي المسلم، وكان الأساس الأول الدعوة إلى التوحيد الخالص لله، وتعرضت لأحكام القصاص والوصية والقتال والإنفاق في سبيل الله، ولبيان بعض العبادات كالصيام والحج، وظهرت أحكام الخمر، ونكاح المشركات والعدة والإيلاء والطلاق والرضاع، والربا وأحكام التداين والمعاملات وخاصة الرهن، وفي خلال ذلك قصص وحكم، ثم ختمت السورة بالدعاء الإسلامي الكامل"(١)، فالسورة متعددة الموضوعات مترامية الأطراف مع ترابط نظمٍ وبلاغة أسلوبٍ وفصاحة كلمات، وقد أفصح الإمام الطيبي عن جانب من ذلك، فقال: (...أنّه سبحانه وتعالى لمّا بيّن بقوله: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا ﴾(٢)، أنه صلوات الله عليه نبيٌّ صادقٌ ومعجزته هذا القرآن الذي بذّ بفصاحته كل ناطق، وشقّ ببلاغته غبار كل سابق، وما اكتفى بذلك، بل أتى بكل ما يتعلق بأمور الدّين من التوحيد والأخلاق والدّيانات وأحوال الآخرة وقصص الأنبياء السالفة والأمم الدارجة وشيء صالح من الأحكام التي يناط بها أكثر أمور الأمة، وأطنب فيها كل الإطناب؛ ليؤذن به أنه الكتاب كما أنه معجزة في نفسه، مشتمل على حِكَمٍ وعلوم وأحكام يتوقف عليها أمر الرسالة، ولما أراد أن يرجع إلى ما

---

(١) التفسير الواضح، د/ محمد محمود حجازي ١٦/١، وينظر: التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور ٢٠٣/١، زهرة التفاسير للشيخ محمد أبي زهرة ٧٦/١ وما بعدها، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، أ.د/ محمد سيد طنطاوي ٢٨/١ وما بعدها.

(٢) سورة البقرة الآية (٢٣، ٢٤).

بدأ به من إثبات نبوته ورسالته، قال: ﴿ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ ليكون كالفذلكة لسائر ما ذَكر، وكالتخلص إلى حديثه صلوات الله عليه، وأنه صلوات الله عليه نبيٌّ مرسل، وأنه أفضل الرسل على سبيل الترقي، كأنه قيل: تلك المذكورات كلها آيات الله ملتبسة بالحق الهادي إلى صراطٍ مستقيم ليقرر بها أمر نُبوّتك الذي ثبت بالمعجزة القاهرة، وليُعلم بها إنك لمن المرسلين الجامعين بين المعجزة والوحي، وإنك أفضلهم وواسطتهم؛ لأنك أُعطيت ما أعطوا، وزدت على ما أعطوا، وهو هذا الكتاب الكريم،...والله – جلّ سلطانه– حين فَرَغ من بيان الأحكام وشرع في القصص تحريضًا على الجهاد وحثًّا على الإنفاق في سبيله؛ إشادة للدِّين وقمعًا للملحدين، قال: ﴿ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [1]، ولِما أنّ الإنفاق هو العمدة في الجهاد، ومنه فُتح باب سائر العبادات، وهو رأس الخيرات، وأُس المَبَرات، كرّر ذكره مرارًا، وذلك أنه لما قصّ حديث طالوت وجالوت ونُبذًا من أحوال الأنبياء تقريرًا للجهاد تأسيًّا بهم، رجع إلى حديث الإنفاق بقوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ ﴾ [2]، ثم أتى بوَصْف ذاته الأقدس بالمطالب العالية الشريفة، وبقصة خليله عليه السلام، فَكَرّ راجعًا إلى قضية الإنفاق قائلًا: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ ﴾ ، ثم لما استوفى حقّه من البيان ختم السورة بخاتمة سنيّة، وما ذلك إلا أن للإنفاق عند الله خطْبًا جليلًا وخطرًا عظيمًا) ثم لخص تلك الموضوعات وبيان ما ختمت به السورة الكريمة فقال – ناقلًا ذلك عن الزجاج[3]–: (لما ذَكر الله – عزّ وجلّ– فَرْض الصلاة والزكاة والطلاق

(١) سورة البقرة الآية (٢٤٤، ٢٤٥).

(٢) سورة البقرة من الآية (٢٥٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣٦٨/١.

والحيض والإيلاء والجهاد، وأقاصيص الأنبياء- عليهم السلام-، والدَّيْن، والربا، ختم السورة بذكْر تعظيمه وتصديق نبيّه – عليه السلام- والمؤمنين لجميع ذلك، أي: صدّق الرسول بجميع هذه الأشياء التي جَرى ذكْرها، وكذا المؤمنون...)[١].

وبعد تقرير أصول الدين ومبادئ الشريعة من خلال ما ورد في سورة البقرة، أخذ في ذكْر مقومات الأمة الإسلامية ودعائم استقرارها من خلال ما ورد في سورة النساء، والتي جاءت " تعالج الاستقرار الداخلي والاستقرار الخارجي، فالاستقرار الداخلي: أساسه صلاح الأسرة، وصلاح المال في ظل تشريع قوي عادل، مبنيّ على مراعاة مقتضيات الطبيعة الإنسانية، مجرد من تحكيم الهواء والشهوات، وذلك إنما يكون إذا كان صادرًا عن حكيم خبير بنزعات النفوس واتجاهاتها، تمتلئ النفس بعظمته وقوته، وغيرته على تشريعه ومحارمه، والاستقرار الخارجي: أساسه احتفاظ الأمة بشخصيتها، والاستعداد لمقاومة الشر الذي يطرأ عليها، والعدو الذي يطمع فيها، وسورة النساء تكفلت بوضع أسس الأحكام التي تصلح بها هذه النواحي، فموضوعاتها: الأسرة، المال، أسس المجتمع الإسلامي، مصادر التشريع، ألوان التمرد على التشريع، أسس الاستقرار الخارجي، مكافحة الآراء والشّبه الضارة، تتويج هذا كله بالدعوة إلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من هداية ونور"[٢].

هذه المعاني العالية، أشار إليها الإمام الطيبي وأكثر التعويل عليها وبخاصة تلك التي ترقى بالإنسان وتخلصه من أدران النفس وتحكّم الشهوات، وتوثق العلاقة بينه وبين خالقه سبحانه، وبينه وبين خلق الله – تعالى-، حيث

---

(١) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ٤٧٦/٣، ٥١٦، ٥٧٣.

(٢) تفسير القرآن الكريم للإمام الأكبر/ محمود شلتوت، صـ ١٦٨، ١٦٩، بتصرف، وينظر: المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء للشيخ/ محمد محمد المدني، صـ٢٢، ٢٣.

قال: (اعلم أنه تعالى بعد ما أتمّ بيان أحكام ذوي الأرحام، وأطنب فيه وفيما يتعلق بها، أخذ في بيان شَرْع آخر من الأحكام التي تتعلق بالعبادة، وهي: إمّا أن تتعلق بالقلوب، أو بالجوارح، والأول: إمّا ان يختص بالله – عزّ وجلّ–، أو بالخلق؛ فالذي يختص بالله هو المراد بقوله: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾[1]، والذي يتعلق بالخلق هو المراد بقوله: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ﴾[2]، ثم حثّ على التواضع والجود بذمّ الكبر والبخل بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [3]، وذمّ الإنفاق الذي لا يكون لوجه الله، وقرنه بالكفر حيث قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [4]، وبالغ في قلع الرياء وقَمْع الشّرك الخفيّ حيث ترقّى إلى نفي الشرك الجليّ بقوله: ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ [5]، ثمّ حرّض على الإخلاص في الإنفاق بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ [6]، ثمّ أتى من الأعمال ما يتعلق بالجوارح، وخص بالصلاة التي هي أعظمها، وقدّم ذكْر ما هو متوقف عليه من رفْع الجنابة والحدَث بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾ [7]...) وبعد بيان الاستقرار الداخلي من بناء في الفرد والمجتمع، شرع في بيان الاستقرار الخارجي من خلال التشريع بالجهاد والترقي فيه، فهو سبحانه (لمّا حرّض المؤمنين على القتال بقوله: ﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ

(١) سورة النساء من الآية (٣٦).
(٢) سورة النساء من الآية (٣٦).
(٣) سورة النساء من الآية (٣٦).
(٤) سورة النساء من الآية (٣٨).
(٥) سورة النساء من الآية (٣٩).
(٦) سورة النساء من الآية (٤٠).
(٧) سورة النساء من الآية (٤٣).

يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾[١]، وزاد التحريض ثانيًا بقوله: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ ﴾[٢]، وترقّى فيه ثالثًا إلى قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ ﴾[٣]، وربّع التعبير لبعض من جبُن عن القتال من المؤمنين، وبالغ في الردّ عليه إلى أن قال: إنّ الآجال مقدّرة والحذَر لا يزيد في العُمر، والاقتحام في المهالك لا يَنقص منه، وكان حديثًا مناسبًا للقضاء والقدر، فاستطرد ذكْر المنافقين القائلين بما ينافي القدر، وأجاب عنهم: أنّ الكلّ بقضائه وقدره، وزَجَرهم ونَسَبهم إلى الجهل كما سبق، ثُمّ أرشدهم إلى التفكر في النصوص الواردة في القرآن في ذلك بقوله: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾[٤] عاد إلى حديث الذين كفّوا وجَبُنوا وأمثالهم، وعيّرهم بنوع آخر حيث قال: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ﴾[٥]، ولمّا فرغ من حديثهم كَرّ إلى التحريض في القتال قائلًا: ﴿ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ﴾ [٦] مزيدًا لإلهاب المؤمنين؛ حيث خصّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخطاب وبالأمر بالقتال، وختم به أمر المقاتلة والمعاملة مع أعداء الله، ولما أراد أن يأخذ في شَرْع آخر، وهو حُسْن المعاشرة مع أولياء الله – وهو قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ ﴾ [٧] - جعل قوله: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً ﴾ [٨] تخلّصًا

(١) سورة النساء من الآية (٧٤).
(٢) سورة النساء من الآية (٧٥).
(٣) سورة النساء من الآية (٧٦).
(٤) سورة النساء من الآية (٨٢).
(٥) سورة النساء من الآية (٨٣).
(٦) سورة النساء من الآية (٨٤).
(٧) سورة النساء من الآية (٨٦).
(٨) سورة النساء من الآية (٨٥).

إليه؛ لأنّ الشفاعة الحسنة: هي التي روعي بها حقّ، ودُفع بها شرٌّ، وجُلب خير، ﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾ [1]...)[2].

وهكذا أوضحت السورة الكريمة أسس العلاقات الإنسانية، وسُبل الروابط الاجتماعية، ومناهج القواعد الأخلاقية، والتي ترقى بها الأمة الإسلامية؛ إذ هذه الأمور من أعظم مقاصد القرآن الكريم، ومن أبرز هداياته وأهم موضوعاته، مما جعل الإمام الطيبي يعول عليها ويُظهر بعضًا من محاسنها؛ لِما فيها من الوقوف على أحد وجوه إعجاز القرآن الكريم.

ولما كان الكتاب الحكيم قد سار في بيانه لأمور العقيدة وتوضيحه لمسائله وموضوعاته على خطين متوازيين: أحدهما: تأسيس العقيدة الصحيحة وبنائها في القلوب بعرضها عرضًا سهلًا يقنع العقل، ويشبع العاطفة، مستخدمًا في ذلك الأدلة المتعددة التي توائم الفطرة السليمة، وثانيهما: هدم العقائد الباطلة المنتشرة بين المشركين وأهل الكتاب: فردّ على عُبّاد الأوثان، والكواكب وغيرهم، وعلى من أنكر أن يكون لله رسل من البشر، ودحض شبه المنكرين للألوهية، وللبعث بعد الموت[3].

وهذه المعاني لم تكن قد غابت عن الإمام الطيبي، بل رعاها اهتمامًا بالغًا وعناية فائقة، فقد سبق إيراد السور التي أوضحت العنصر الأول من تأسيس في العقيدة وبناء لها من خلال ما جاء في سورة الأنعام وأن مقصودها يدور حول إثبات الصانع سبحانه وتعالى، وما جاء في سورة يس وإيرادها لأمهات مسائل العقيدة والتي أكثر العلماء في تفصيلها، وها ذا قد شرع في

---

(١) سورة الأحزاب من الآية (٤).

(٢) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ٥/٥، ٨٦.

(٣) عقيدتنا، أد/ محمد ربيع جوهري ٢٠/١. بتصرف

بيان الخط الثاني من تقرير العقيدة من خلال هدم العقائد الزائفة، حيث قال – عند تفسيره لسورة النحل–: (...أنّ هذه السورة في بيان سوء أفعال قريش وقبائحهم، وفي تذكارهم ما خوّل الله لهم من أنواع النعم، وفي إنذارهم بنقم الله، وما حلّ بمن سبق من الأمم الخالية، ولمّا عدّد عليهم النعم المتكاثرة من ذِكْر الأنعام وفوائدها وثمرات النخيل ومنافع ما يَصل إليهم من النخل، وأنذرهم بأنواعٍ من النذر، ثم نعى عليهم ما كانوا يفترون على الله من اتخاذ البنات، وقال: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾، وأراد أن يذكر نوعًا آخر من أفعالهم، وهو تحليلهم بأهوائهم ما حرّم الله من أكل الميتة والدّم ولحم الخنزير، وتحريمهم ما أحله الله من البحائر والسوائب والوصائل والحام[1]، وقولهم: ﴿ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ﴾ [2]، عقّب ذلك ضرْب المثَل بقوله: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً ﴾ ؛ ليكون كالتخلص إلى قوله: ﴿ فَكُلُواْ ﴾ ، فَرَدف

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ [المائدة: ١٠٣]، ففيها (ردٌّ وإبطال لما ابتدعه أهلُ الجاهلية حيث كانوا إذا نُتِجَت الناقةُ خمسةَ أبطنٍ آخرُها ذكرٌ بَحروا أُذنها أي شقُّوها وحرَّموا ركوبها ودَرَّها ولا تُطرد عن ماءٍ ولا عن مرعى وكان يقول الرجل إذا قدِمْت من سفري أو برِئْتُ من مرضي فناقتي سائبةٌ وجعلَها كالبَحيرة في تحريم الانتفاعِ بها وقيل كان الرجل إذا أعتق عبداً قال هو سائبة فلا عقْلَ بينهما ولا ميراث وإذا ولَدت الشاةُ أنثى فهي لهم وإن ولدت ذكراً فهو لآلهتهم وإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا وصلَتْ أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم وإذا نُتجت من صُلب الفحل عشَرةَ أبطُنٍ قالوا قد حمَى ظهرَه فلا يُركب ولا يُحمل عليه ولا يُمنع من ماء ولا مرعى) إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٨٦/٣، وينظر: البحر المحيد في التفسير لأبي حيان ٣٧٨/٤، التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور ٧٢/٧.

(٢) سورة الأنعام من الآية (١٣٩).

بقوله: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ ﴾ ، ويدلّ عليه تكرير قوله: ﴿تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ ﴾ ...)[1].

(١) فتوح الغيب ٩/٢١٣.

وكذلك في سورة الصافات أوضح أنها اشتملت على تخاليط المشركين ونسبتهم إلى جلاله الأقدس ما لا يليق بجنابه، وعلى فَرْطاتهم مع انبيائه والصالحين من عباده وتجرعهم الغُصص، ووخامة حالة المكذبين وحُسن عاقبة المرسلين. فتوح الغيب ١٣/٢٢٤.

خاتمـــــة

الحمد لله ميسّر الأمور، شارح الصدور، مخرج أولياءه من الظلمات إلى النور، والصلاة والسلام على خير الأنام، وعلى آله وصحبه الكرام، وبعد:

فإنه قد اتفقت كلمة العلماء بل الأمة جميعًا على أن القرآن الكريم معجز، إلا أنهم اختلفوا في وجوه إعجازه، وما ذلك إلا لأن القرآن الكريم كلام الله – جل جلاله–، والله – تعالى– لا منتهى لكماله وجماله وجلاله، فكذلك كلامه سبحانه وتعالى لا ينقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا يشبع منه العلماء ولا يمله الأتقياء، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾[1]، ولذلك كان الإمام الطيبي أحد أولئك العلماء الذين اهتموا بإظهار وجوه الإعجاز، ووجد بغيته في تفسير الكشاف للزمخشري فتناوله بالشرح والإيضاح، حيث قال: (... فلم يُوفّق لتصنيف أجمع لتلك الدقائق، وتأليفٍ أنفع لدَرك تلك الحقائق، وأكشف للقناع عن وجه إعجاز التنزيل، وأعون في مداحض الكلام على تعاطي التفسير والتأويل إلا الحبر الهمام: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، شكر الله سعيه، ...)[2]، ثم أخذ يفصح عن عمله ومنهجه، وأنه بالإضافة إلى شرح مجمله، وحَلّ مُعضله سيسعى جاهدًا في إظهار الأساليب البديعية، والأفانين البيانية، واستخراج نُكاتٍ من علم أصول الدين، وأنه لم يأل جَهْدًا في الاعتماد على المنقول والاستناد إلى الأصول، ثم نراه يقول: (...وعثرتُ بعد طول المباحثات على أن معرفة إبراز النظم هي أعظم المطالب، وأسنى المقاصد والمآرب...)[3].

---

(١) سورة الكهف الآية (١٠٩).

(٢) فتوح الغيب ٦١١/١.

(٣) المرجع السابق ٦١٢/١.

وفي نهاية هذا البحث يمكنني أن أسجل أهم النتائج والتوصيات، وهي:

١- إن الإمام الطيبي أحد العلماء الذين أسهموا في إبراز هذا النوع من التفسير، وهو التفسير الموضوعي حيث اتحاد موضوعات السورة القرآنية من خلال العمل التطبيقي والوقوف عليه فعليًّا في سور القرآن الكريم وآياته.

٢- إن الإمام الطيبي من أنصار الفكر المقاصدي للقرآن الكريم، واستخراج هداياته ومعرفة لطائفه وأسراره؛ إذ هو خير معين على تدبر آيات القرآن الكريم، وفيه حث على الاستمساك والعمل بمحكمه والإيمان بمتشابه، وكما قال: "فإن كتاب الله المجيد هو قانون الأصول الدينية، ودستور الأحكام الشرعية، وهو المختص من بين سائر الكتب السماوية بصفة البلاغة"(١).

٣- عدم اقتصار وجوه إعجاز القرآن الكريم على وجه واحد والاعتراض على ما سواه فضلا عن رفضه، فوجوه إعجاز القرآن الكريم متعددة ومتنوعة(٢).

٤- النظم القرآني من أعظم وجوه إعجاز القرآن؛ إذ معرفة التراكيب وما تحويه دلالات السياق يعين على فَهْم مراد الله – تعالى من كلامه؛ لأنّ كلام الله – تعالى- يتصل بعضه ببعض اتصالًا مباشرًا، وهو ما عُرف عند العلماء بعلم المناسبة، حيث ارتباط الكلام بعضه ببعض وجعله مترابط الأجزاء محكم البناء.

٥- إن فواتح السور القرآنية وخواتمها مظهر من مظاهر إعجاز القرآن والوقوف على موضوعات السورة؛ إذ إن مطلعها هو النور الذي يكشف عن مدى ترابط نظمها وتلاحم موضوعاتها، وأحد المعالم التي ترشد إلى

---

(١) فتوح الغيب ٦١٠/١.

(٢) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ٢١٦/٣ وما بعدها، معترك الاقران في إعجاز القرآن ١٢/١ وما بعدها.

مقصودها وتوضح طابعها، ومقطعها فيه استجماع المعاني، وخلاصة المقاصد، فالفواتح تمهيد للموضوعات، والخواتم ملتقي المقاصد والغايات.

٦- إن القصص القرآني أحد خصائص التعبير القرآني الدالة على إعجازه؛ لما فيه من تقرير المعاني في النفوس، وترسيخٍ لها في الفهم.

٧- إن من وجوه إعجاز القرآن الكريم خلوه من المناقضة؛ فالقرآن الكريم محكم آياته، متين عباراته، رصين أسلوبه، دقيق ألفاظه: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (١)، فلا اختلاف فيه ولا إشكال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ (٢).

٨- إن القرآن الكريم كما أنه معجزة متجددة العطاء، فهو في الوقت نفسه كتابُ هدايةٍ، ومنهجُ حياةٍ، فيه بيانٌ مشرق لكلّ ما يحتاجه النّاس، ويكفل لهم السعادة في الدنيا والآخرة، وأن من خصائص هذا القرآن العظيم أنه جامع بين الهداية والإعجاز.

ومما أوصي به في نهاية هذه الدراسة:

١- الاهتمام بتراث الأمة الإسلامية، ولا سيما في الدراسات القرآنية، والربط بينها وبين القضايا المعاصرة؛ ففيه الجمع بين التراث والتجديد والأصالة والمعاصرة.

٢- العناية بهذا النوع من الدراسة حيث الوقوف على الوحدة الموضوعية من خلال المقاصد، والمطالع والمقاطع، وبيان القصص القرآني، فهو القديم الحديث، القديم في تناوله والتعويل عليه، الحديث في اصطلاحه وتنظيره.

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد رسول الله، في كل لمحة ونفسٍ عدد ما وسعه علم الله.

---

(١) سورة هود من الآية (١).

(٢) سورة النساء الآية (٨٢).

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

١) الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين السيوطي، ت: د/ محمد متولي منصور، ط: مكتبة دار التراث (١)١٤٣١هـ =٢٠١٠م.

٢) الاجتهاد المقاصدي: ضوابطه ومجالاته، نور الدين الخادمي، تقديم: الشيخ عبيد حسنة.

٣) الأحاديْثُ المُشْكِلَةُ الواردةُ في تفسير القرآنِ الكريم (عَرْضٌ وَدِراسَةٌ)، د/ أحمد بن عبد العزيز بن مُقْرِن القُصَيِّر، ط: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، (١)١٤٣٠هـ.

٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود، ط: دار إحياء التراث العربي- بيروت، (٤)١٤١٤هـ=١٩٩٤م.

٥) أسباب النزول للواحدي، ت/ كمال بسيوني زغلول، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، (١) ١٤١١هـ.

٦) إعجاز القرآن للباقلاني، ت/ السيد أحمد صقر، ط: دار المعارف – مصر، (٥) ١٩٩٧م.

٧) الأعلام للزركلي، ط: دار العلم للملايين، (١٥)٢٠٠٢ م.

٨) الانتصار للقرآن للباقلاني، ت/ د. محمد عصام القضاة، ط: دار الفتح – عَمَّان، (١) ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٩) أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل لزين الدين الرازي، ط: دار عالم الكتب الرياض (١) عام ١٩٩١م.

١٠) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضي البيضاوي، ت/ أد. حمزة النشرتي وأخرون، مكتبة النشرتي.

١١) أنوار الربيع في أنواع البديع لابن معصوم
١٢) بحر العلوم للسمرقندي، د.محمود مطرجي، ط: دار الفكر – بيروت، دون تاريخ.
١٣) البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي، ت/ محمد محمد تامر، ط: دار الكتب العلمية، عام١٤٢١هـ= ٢٠٠٠م.
١٤) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان، ط: دار الفكر- بيروت، عام ١٤٣٢هـ=٢٠١٠م.
١٥) البرهان في تناسب سورة القرآن للغرناطي، ت/ محمد شعباني، ط: وزارة الأوقاف ـ المغرب، عام١٤١٠هـ=١٩٩٠م.
١٦) البرهان في علوم القرآن للزركشي، ت/ محمد أبو الفضل، ط: دار الإحياء عيسى الحلبي، (١) ١٣٧٦هـ=١٩٥٧م.
١٧) بصائر ذوي التمييز في تفسير الكتاب العزيز للفيروز آبادي، ت/ محمد علي النجار، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة، عام ١٤١٦هـ= ١٩٩٦م.
١٨) بغية الإيضاح
١٩) تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، ط: دار الهداية، دون تاريخ.
٢٠) تبصير الرحمن وتيسير المنان بعض ما يشير إلى إعجاز القرآن للمهايمي.
٢١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الإصبع المصري، ت/ حنفى محمد شرف، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر، ١٤١٦هـ= ١٩٩٥م.
٢٢) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور، ط: الدار التونسية للنشر، عام ١٩٨٤م.
٢٣) التعريفات للجرجاني، ط: دار الكتب العلمية بيروت، (١) ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

٢٤) تفسير القرآن الحكيم والمسمى (تفسير المنار) محمد رشيد رضا، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام: ١٩٩٠ م.

٢٥) تفسير القرآن الكريم للإمام الأكبر/ محمود شلتوت، ط: دار الشروق، (١١) ١٤٠٨هـ =١٩٨٨م.

٢٦) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط: دار الفكر المعاصر – دمشق، ١٤١٨ هـ.

٢٧) التفسير الواضح، د/ محمد محمود حجازي، ت/ مكتب إحياء التراث بمشيخة الأزهر، ط: الأزهر الشريف.

٢٨) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، أ د / محمد سيد طنطاوي، ط: دار السعادة– القاهرة، عام ٢٠٠٧م.

٢٩) التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد أ د/ عبد الغفور محمود مصطفى جعفر، ط: دار السلام، (٢) ١٤٣٣هـ =٢٠١٢م.

٣٠) تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبد الجبار، ط: دار النهضة الحديثة – بيروت.

٣١) تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، ت/ محمد عوض مرعب، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، عام٢٠٠١م.

٣٢) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ت: محمد خلف الله أحمد، د/ محمد زغلول سلام، ط: دار المعارف– بمصر، (٣) ١٩٧٦م .

٣٣) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري ،ت/ أحمد محمد شاكر، ط: مؤسسة الرسالة، (١)١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م

٣٤) جمع الجوامع لتاج الدين السبكي، ومعه تشنيف المسامع بجمع الجوامع للزركشي، ت/ د. سيد عبد العزيز وآخر، ط: مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث، (١) ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م.

٣٥) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، لـــ أحمد الهاشمي، ضبط / د. يوسف الصميلي، ط: المكتبة العصرية، بيروت.
٣٦) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي، ت/ عصام شقيو، ط: دار ومكتبة الهلال–بيروت، عام ٢٠٠٤م.
٣٧) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني، ت/ محمد عبد المعيد ضان، ط: مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر اباد/ الهند، (٢)١٣٩٢هـــ/ ١٩٧٢م.
٣٨) دلائل الإعجاز في علم المعاني، للشيخ/ عبد القاهر الجرجاني، ت/ أبو فهر محمود محمد شاكر، ط: المدني بالقاهرة، (٣) ١٤١٣هـــ =١٩٩٢م.
٣٩) روح البيان في تفسير القرآن إسماعيل حقي البرسوي، ط: دار الفكر – بيروت، بدون تاريخ.
٤٠) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي، ط: دار التوفيقية، القاهرة، بدون تاريخ.
٤١) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، ت/ عبد الرزاق المهدي، ط: دار الكتاب العربي – بيروت، (١) ١٤٢٢ هـــ.
٤٢) زهرة التفاسير، لمحمد أبي زهرة، ط: دار الفكر العربي.
٤٣) سنن ابن ماجة، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء الكتب العربية، دون تاريخ.
٤٤) سنن أبي داود، ت/ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: المكتبة العصرية – بيروت، دون تاريخ.
٤٥) سنن الترمذي، ت/ أحمد محمد شاكر وآخرون، ط: مصطفى البابي الحلبي – مصر، (٢)١٣٩٥هـــ=١٩٧٥م.
٤٦) سنن الدارمي، ت/ فواز أحمد زمرلي وآخر، ط: دار الكتاب العربي – بيروت، (١) ١٤٠٧ هـــ

٤٧) صحيح مسلم، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤٨) طبقات المفسرين للأدنه وي، ت/ سليمان بن صالح الخزي، ط: مكتبة العلوم والحكم – السعودية، (١) ١٤١٧هـ– ١٩٩٧م

٤٩) طبقات المفسرين للداوودي، د: دار الكتب العلمية – بيروت، دون تاريخ.

٥٠) الطراز في علوم البلاغة وأسرار الإعجاز ليحيى العلوي، ط: المكتبة العنصرية – بيروت، (١) ١٤٢٣هـ.

٥١) عقيدتنا أ د/ محمد ربيع جوهري، مكتبة الإيمان، ط (١٠) عام١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

٥٢) علاقة المطالع بالمقاصد في القرآن الكريم: دراسة بلاغية – نظرية– تطبيقية، أ. د/ إبراهيم صلاح الهدهد، ط: مكتبة الإيمان.

٥٣) عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، للشهاب الخفاجي، ت/ الشيخ: عبد الرزّاق المهدي، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، (١)١٤١٧هـ=١٩٩٧م.

٥٤) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لزكريا الأنصاري، ت/ محمد علي الصابوني، ط: دار القرآن الكريم– بيروت، (١)١٤٠٣هـ=١٩٨٣م.

٥٥) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، وهو حاشية الطيبي على الكشاف، ط: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، (١)١٤٣٤هـ=٢٠١٣م.

٥٦) كتاب الحيوان للجاحظ، ت/ عبد السلام هارون، ط: دار الجيل، ١٤١٦هـ =١٩٩٦م.

٥٧) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري، وبحاشيته الانتصاف فيما تضمنه الكشاف لابن المنير، ت/ الشربيني شديدة، ط: دار الحديث القاهرة، عام ١٤٣٣هـ=٢٠١٢م.

٥٨) كشف المعاني في المتشابه من المثاني لابن جماعة، ت/ عبد الجواد خلف، ط: دار الوفاء ــ المنصورة، (١) ١٤١٠ هـــ = ١٩٩٠ م.

٥٩) الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء الكفوي، ت/ عدنان درويش وآخر، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت.

٦٠) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي، ت/ عادل أحمد عبد الموجود وآخر، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، (١) ١٤١٩هـــ = ١٩٩٨م.

٦١) لسان العرب لابن منظور، ط: دار صادر – بيروت، (٣) ١٤١٤هـــ .

٦٢) المجتمع الإسلامي كما تصوره سورة النساء للشيخ/ محمد المدني

٦٣) محاسن التأويل للقاسمي، ت/ أحمد بن علي، ط: دار الحديث بالقاهرة

٦٤) محاضرات الأدباء ومحاضرات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهاني، ط: دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، (١)١٤٢٠هـــ.

٦٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، ت/ عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: دار الكتب العمية – بيروت، (١) ١٤٢٢هـــ .

٦٦) مختار الصحاح للرازي، ت/ يوسف الشيخ محمد، ط:المكتبة العصرية – بيروت،(٥) ١٤٢٠هـــ= ١٩٩٩م.

٦٧) المدخل إلى التفسير الموضوعي: مناهج ونماذج، د/ عبد الستار فتح الله سعيد، مكتبة الإيمان، ط (٥) ١٤٢٣هـــ=٢٠١١م.

٦٨) مدخل إلى القرآن الكريم، أد/ محمد عبد الله دراز، ط: دار القلم– القاهرة، (٥)١٤٢٤هـــ =٢٠٠٣م.

٦٩) المدخل لدراسة القرآن الكريم، د/ محمد أبو شهبة، ط: مكتبه السنة – القاهرة، (٢) ١٤٢٣هـــ = ٢٠٠٣ م.

٧٠) مسند الإمام أحمد، ت/: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط: مؤسسة الرسالة، (١)١٤٢١هـــ= ٢٠٠١م.

٧١) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للبقاعي، ط: مكتبة المعارف – الرياض، (١) ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م.

٧٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي، ط: المكتبة العلمية – بيروت، دون تاريخ.

٧٣) المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، للتفتازاني، تحقيق: د/ عبد الحميد هنداوي، ط: دار الكتب العلمية– بيروت.

٧٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي، ت/ عبد الرزاق المهدي، ط: دار إحياء التراث العربي –بيروت، (١) ١٤٢٠ هـ.

٧٥) معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ت/ عبد الجليل عبده شلبي، ط: عالم الكتب – بيروت، (١) ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٧٦) معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، (١) ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.

٧٧) معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار، ط: عالم الكتب، (١) ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.

٧٨) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية، ط: دار الدعوة، بدون تاريخ.

٧٩) المعنى القرآني، معالم الطريق إلى فقهه في سياق السورة رؤية منهجية ومقاربة تأويلية، أ. د/ محمود توفيق سعد، ط: مكتبة وهبة، (١) ١٤٤٢هـ = ٢٠٢١م.

٨٠) مفاتيح الغيب للرازي، ت/ عماد زكي البارودي، ط: دار التوفيقية، عام ٢٠٠٣م.

٨١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، ط: دار القلم– دمشق.

٨٢) مقاصد القرآن الكريم عند النورسي ودورها في بناء الحضارة والعمران (دراسة تحليلية تقويمية) د/ أردوان مصطفى إسماعيل المزروي، مجلة النور للدراسات الفكرية العدد١٨ السنة التاسعة عام ٢٠١٨م.

٨٣) مقاييس اللغة لابن فارس، ت/ عبد السلام محمد هارون، ط: دار الفكر، عام ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

٨٤) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه متشابه اللفظ من آي التنزيل، للغرناطي.

٨٥) مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ/ محمد عبد العظيم الزرقاني، ط: دار الفكر – بيروت.

٨٦) الموافقات في أصول الفقه للشاطبي، تحقيق أ.د/ محمد عبد الله دراز، ط: دار المعرفة – بيروت.

٨٧) النبأ العظيم، د/ محمد عبد الله دراز، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، تقديم: أ.د/ عبد العظيم إبراهيم المطعني، ط: دار القلم، عام ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.

٨٨) نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم للشيخ/ محمد الغزالي، ط: دار الشروق، (٢) ١٤١٣هـ= ١٩٩٢م.

٨٩) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم البقاعي، ط: دار الكتاب الإسلامي– القاهرة.

٩٠) الوحدة البنائية للقرآن المجيد د/ طه جابر العلواني، ط: مكتبة الشروق الدولية، (١)١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.

٩١) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم للدكتور/ محمد محمود حجازي، ط: دار الكتب الحديثة، (١) ١٣٩٠هـ=١٩٧٠م.

References

1) Al-Itiqan fi Uloom Al-Quran, Hafiz Jalal Al-Din Al-Suyuti, 1st edition, Dar At-Turath Library, 1431AH, 2010AD.
2) Ijtihad Al-Maqsadi: Dawabitoha wa Magalatiha, Nour Ad-Din Al-Khadimi,
3) Al-Ahadith Al-Mushkilah Al-Warida fi Tafsir Al- Quran Al-Karim, Dr. Ahmed bin Abdulaziz bin Muqrin Al-Qusayr, 1st edition, Dar Ibn Al-Jawzi for Publishing and Distribution, 1430AH.
4) Irshad Al-Akl As-Salim li Mazaya Al-Quran Al-Karim, As-Saud, 4th edition, Dar Ihyaa At-Turath Al-Arabi, Beirut, 1414AH-1994AD.
5) Asbab Al-Noazoul, Al-Wahidi, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 1411AH.
6) Ijaz Al-Quran, Al-Baqalani, 5th Edition, Dar Al-Maarif – Egypt, 1997AD.
7) Al-Ialam, Al-Zarkali, 15th edition, Dar Al-Ilm Li Al-Malayin, 2002.
8) Al-Intisar le Al- Quran, Al-Bakalani, 1st edition, Dar Al-Fateh - Amman, 1422AH - 2001AD.
9) Namozag Jalil fi Asilah wa Agwaba an Gharaaib Ai At-Tanzil, Ar-Razi, 1st edition, Dar Alam Al-Kutub, Riyadh, 1991.
10) Anwar At-Tanzil wa Asrar At-Taweel, Al-Baydawi, Al-Nashrti Bookstore.
11) Bahr Al-Ulum, Al-Samarkandi, Dar Al-Fikr – Beirut, n.d.
12) Al-Bahr Al-Muheet fi Usul Al-Fiqh, Al-Zarkashi, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1421AH-2000AD.
13) Al-Bahr Al-Muheet, Abu Hayyan, Dar Al-Fikr, Beirut, 1432AH-2010AD.
14) Al-Burhan fi Tanasub Suwar Al-Quran, Al-Granati, Ministry of Awqaf, Morocco, 1410AH-1990AD.
15) Al-Burhan fi Uloom Al-Quran, Al-Zarkashi, Dar Al-Ihya Issa Al-Halabi, 1376AH-1957AD.
16) Basaer Zawi At-Tamyeez fi Lataef Al-Kitab Al-Aziz, Al-Fayrouzabadi, Supreme Council for Islamic Affairs – Cairo, 1416AH- 1996AD.
17) Taj Al-Arous min Jawaher Al-Qamous, Al-Mortada Az- Zubaydi, Dar Al-Hidayah, n.d.

18) Tabsir Ar-Rahman wa Taisir Al-Manan Baad ma Ushir ili Iagaz Al-Quran, Al-Mhaimi

19) Tahrir At-Tahbir fi Sinaat Ash-Shiar wa Al-Nasr wa Bayan Ijaz Al-Quran, Ibn Abi Al-Isabah Al-Masri, Supreme Council for Islamic Affairs, Egypt, 1416AH.

20) At-Tahrir wa At-Tanweer, Ibn Ashour, Ad-Dar At-Tunisiyyah, Tunisia, 1984AD.

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــوع
١	ملخص البحث
٢	مقدمة، وفيها: خطة البحث، صعوبات البحث، أسئلة البحث، الدراسات السابقة، منهجي في هذا البحث، أهداف البحث.
٣	تمهيد، وفيه أمران: الأول: بيان مفردات العنوان.
٤	الثاني: الإمام الطيبي وفتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب
٥	المبحث الأول: الوحدة الموضوعية والنظم القرآني.
٦	المبحث الثاني: الوحدة الموضوعية ومقاصد السورة القرآنية.
٧	المبحث الثالث: الوحدة الموضوعية والمطالع والمقاطع (الفواتح والخواتم).
٨	المبحث الرابع: الوحدة الموضوعية والقصة القرآنية.
٩	المبحث الخامس: الوحدة الموضوعية ودفع موهم التعارض والاختلاف.
١٠	المبحث السادس: الوحدة الموضوعية وتقرير أمهات مسائل الأصول والفروع (العقيدة والشريعة والأخلاق).
١١	خاتمة
١٢	فهرس المصادر والمراجع
١٣	فهرس الموضوعات